الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كليـــة الآداب واللغـــــات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في علوم القرآن

موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك – ليسانس L MD – السداسي الأول

إعداد الدكتور:

الطاهـر عفيف

الموسم الجامعي: 2021 م/2022 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة

باسم الله الرحمان الرحيم

والصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة، وأزكى التسليم وبعد:

هذه مجموعة محاضرات مقياس علوم القرآن أمليتها في السنة الجامعية 2021-2022 لطلبة السنة الأولى ليسانس قسم اللغة والأدب العربي بجامعة قالمة.

وقد تتبعت فيها البرنامج المقرر من الجهات الوصية، حيث توزعت المحاضرات على أربعة عشر محاضرة، كما سيأتي بيان ذلك في الصفحة اللاحقة.

وهدفي من جمع هذه المحاضرات هو مساعدة الطلبة، وتيسير وصولهم إلى المعلومة الصحيحة في زمن كثر فيه نشر المعلومات، الأمر الذي قد يربك المتلقي، فيحتار بين ما يأخذ، وما يترك لاسيما أن الأمر يتعلق بعلم مقدس، ألا وهو علوم القرآن.

وإن كان لي من فضل في هذه المحاضرات فهو الجمع والتبويب لا أكثر فتراني أنقل من هذا المصدر، أو ذلك قصد التيسير على الطالب وإفادته.

وقد حاولت تنويع المصادر والمراجع، فكان منها ما هو قديم، ومنها ما هو معاصر مع التعليق من حين لآخر على بعض هذه المعلومات مع عدم التعمق كثيرا تيسيرا على الطالب، وعدم الزج به في بعض الجزئيات التي تحتاج وقتا كبيرا لفهمها.

وأخيرا أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع الطلبة والباحثين بهذه الورقات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم والله من وراء القصد.

السداسي الأول	وحدة التعليم الاستكشافية	مادة: علوم القرآن	المعامل:01	الرصيد:01

	عنوان المحاضرة
1	تعريفات : أهمية القرآن وعلومه في الدراسات الأدبية: تعريف القرآن، الكتاب، الوحي، المعجزة ، النبي، الوحي
2	تاريخ القرآن : 1 نزول القرآن ، بدايات الوحي، التنجيم ..
3	2- مراحل جمع القرآن ، معايير ترتيبسور وآيات القرآن (وقفية أم اجتهادية.
4	مكونان النص القرآني: 1 اللفظة، العبارة ، الآية ، السورة.
5	2-القصة القرآنية : خصائصها ، أهدافها.
6	سياقات النص القرآني: 1- السياق السببي: أسباب النزول 2- السياق المكاني: المكي والمدني.
7	3- السياق التراتبي: أول وآخر مانزل، الناسخ والمنسوخ.
8	4- السياق التداولي: (القراءات القرآنية ، مفهومها ، أنواعها ، الحكمة منها)
9	مناهج التفسير ونقدها: 1- معنى التفسير والتأويل والشرح، شروط المفسر (العلمية والذاتية) ، تاريخ التفسير(في عهد الصحابة والتابعين وعصر التدوين)
10	2- التفسير بالمأثور : خصائصه، أعلامه، نقده. التفسير بالرأي: أعلامه، نقده.
11	التفسير اللغوي: خصائصه، أعلامه ، نقده.
12	التفسير البياني والأدبي: خصائصه ، أعلامه ، نقده.
13	الإعجاز القرآني: 1- الإعجاز اللغوي والبياني.
14	الإعجاز الإخباري والتشريعي.

المحاضرة الأولى: أهمية القرآن وعلومه في الدراسات الأدبية واللغوية

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

موضوع محاضرتنا هو أهمية القرآن وعلومه في الدراسات الأدبية واللغوية، وسنحاول تقسيمها إلى قسمين اثنين، أما القسم الأول سنتحدث فيه عن فضل القرآن الكريم ومنزلته، وأثره في علوم اللغة والأدب، بينما سنخصص القسم الثاني لتعريف بعض مصطلحات علوم القرآن.

القسم الأول: منزلة القرآن وأثره في اللغة والأدب

أ–منزلة القرآن وفضله

من فضل الله سبحانه وتعالى على الإنسان أنه لم يتركه في هذه الحياة يسترشد بفطرته السليمة فحسب، بل كان يتعهده من حين لآخر بإرسال رسل وأنبياء يهدونه طرق الهداية، وسبل الخير قال تعالى:﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء الآية: 165.

هذه الكتب والرسالات كانت بلغة من أرسلت إليهم، وهذا ما ورد في قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم الآية: 4 .هذا يؤكد لنا "نزول كتب سابقة للقرآن بلغات أخرى غير العربية، مع أن محتوى تلك الكتب واحد"[1] وهو هداية الناس إلى الطريق المستقيم، والدعوة إلى توحيد الله عز وجل، والعمل بمقتضيات هذا التوحيد.

ومعلوم أن القرآن الكريم آخر هذه الرسالات، أرسله الله إلى الناس كافة، بخلاف الكتب السماوية السابقة التي كانت ترسل إلى أقوام معينين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

[1]إبراهيم فواتيح ع الرحيم، لغة الخطاب القرآني بين جمالية البيان وصرامة المنطق، رسالة دكتوراه، غ م، جامعة وهران، 2012-2013، ص 08.

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف الآية: 158." ولمّا كان الله سبحانه وتعالى هو منزل هذا الكتاب فهو لن يقف عند حد معين، وهو فوق كل الحدود فإذا بصوت القرآن مع هذا كله ينطلق ليكون المعجزة الأدبية الخالدة في لسان العرب[1].

وقد تحدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العرب بالقرآن، وقد نـزل بلسانهم وهـم أرباب الفصاحة والبيان، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، فثبت له الإعجاز وبإعجازه ثبتت الرسالة". [2]

فقد وقف بلغاء العرب مشدوهين منبهرين أمام لغة القرآن الكريم وبلاغته التي لم يألفوهما من قبل، وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية: " أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة، وعجيب السرد وغريب الأسلوب، وعذوبة المساغ، وحسن البلاغ، وبهجة الرونق، وطلاوة المنطق، ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألغى بلاغة البلغاء"[3] .

فقد تضمن القرآن الكريم حسب ابن القيم وجوها مختلفة من البلاغة والفصاحة والبيان، وحتى بعض مقومات الأدب (السرد وغريب الأسلوب) ولاشكّ أن في ذلك مخاطبة لعاطفة الإنسان ووجدانه، لكن هذا لم يثنه عن مخاطبة العقل، وأصحاب المنطق، والجمع بين مخاطبة العقل والوجدان خاصية تفرد بها القرآن الكريم، وهذا ما أدهش البلغاء والفصحاء، وجعلهم حائرين أمام أساليب القرآن وبيانه، ومن أمثلة الانبهار بأساليب القرآن ولغته التي ساقتها لنا كتب السيرة أن أعرابيا سمع " رجلا يقرأ:﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ ﴾ يوسف الآية:80، فقال: "أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام، أي لإعجازه وبلاغته وخروجها عن طوق البشر"[4] .

---

[1] ينظر:محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، دط ، 2003، ص 3.
[2] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2013، ص 18.
[3] ابن القيم كتاب الفوائد،ت عصام الدين الصابطي، دار الحديث، القاهرة،ط2، 1994، ص 06.
[4] برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمن والمأمون، دار المعرفة، بيروت، دط،1400هـ ،ج3، ص 108.

كما ذكر ابن قتيبة أن: "لبيد بن ربيعة قد انقطع عن الشعر بعد إسلامه، ومرة قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشدني من شعرك، فقرأ سورة البقرة، وقال : ما كنت لأقول شعرا بعد أن علّمني الله سورتي البقرة وآل عمران"[1] .

وعلى الرغم من اقتناع كثير من كبار قريش أنّ القرآن كلام الله عزّ وجلّ، وأنّه لا يمكن لبشر أن يأتي بمثله إلّا أن هناك من راح يتحداه مدعيا أنه بإمكانه أن يأتي بمثل القرآن على غرار النظر بن الحارث – وغيره من سفهاء قريش – الذي راح يدعي أنّ ما يقوله محمد صلّى الله عليه وسلّم من أساطير الأولين، وهو قادر أن يقول أحسن منه [2]، فتحداهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بمثل القرآن، أو على الأقل بجزء منه، وقد كان التحدي على مراحل ثلاث:

أ/ تحداهم بالقرآن كله:

قال تعالى: ﴿قلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء الآية:88، وهو تحد عام لجميع مخلوقاته مجتمعين إنسا وجنا [3]، ولما ظهر عجزهم وعدم قدرتهم عن الإتيان بمثله أنزل سقف التحدي.

ب/تحداهم بعشر سور:

قال تعالى:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، ثم راح يُنزل سقف التحدي إلى الحد الأدنى الذي يظهر فيه عجزهم.

ج/ التحدي بسورة واحدة[1]:

[1] ابن قتيبة ،الشعر والشعراء، ت أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة،ج1، ص 275-276.
[2] ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، دط ، دت، ص 205.
[3] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 236.

قال تعالى: (أم يَقُـولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُـورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُـوا مَنِ اسْتَطَعْـتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) يونس الآية: 38 .

وعلى الرغم من إنقاص التحدي في كل مرة إلاّ أنه ثبت عجزهم، وعدم قدرتهم عن الإتيان بمثله، وعجز العرب عن معارضة القرآن مع توفر الأسباب والدواعي من بلاغة، ومقدرة على التفوق في فنون القول، وسحر البيان لهو خير دليل على عجز اللّغة العربيّة في مجاراة القرآن ومقارعته، وبالتالي فهي بحاجة ماسة للإفادة منه والنهل من معينه الذي لا ينضب، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الآتي.

ب– أثر القرآن الكريم في اللغة والأدب

من المعلوم أن علوم العربية نشأت في أحضان القرآن الكريم تخدمه، وتكشف ما فيه من أساليب وأسرار وتنهل من معينه الصافي، وهذا بما أمدها من روح جديدة، وبما أضفى عليها من أساليب بلاغية غاية في الروعة والجمال، ولا غرو أن ينتقل هذا إلى الأدب العربي بشعره ونثره، سواء من الناحية اللغوية كون اللغة هي أداته، أو من الجانب الفكري بما أضفى عليه من معان جديدة لم تكن معروفة أيام الجاهلية، وسنحاول فيما يأتي إبراز وجوه تأثير القرآن الكريم في اللغة والأدب العربي.

ب–1 وجوه تأثير القرآن في اللغة العربية وهي عديدة نذكر منها:

- المحافظة على اللغة العربية من الضياع

لاشك أن اللغة مثلها مثل أي كائن حي تنمو وتتطور وتزدهر، ثم تشيخ وتموت، واندثار بعض لغات الحضارات القديمة– البابلية، الفرعونية، والآشورية...– خير دليل على ذلك، بل إن بعض التقارير تفيد أن لغة ما تموت كل أسبوعين[2]، وأنّ خمسة وعشرين لغة تنقرض

[1] المرجع السابق، ص 237.

[2] Aljazeera.net news/culturend art 01/ 07/2020.

سنويا، [1] فما هو سر صمود اللغة العربية وبقائها رغم الرياح العاتية والهجمات الشرسة التي تعرضت لها؟

إن السبب الرئيس في بقاء العربية وخلودها هو القرآن الكريم الذي كُتب له الخلود الأبدي بصريح الآية الكريمة:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ الحجر الآية: 09، فبقاء العربية مرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، وفي ذلك يقول يوسف الشريجي: " ... فقد كان القرآن الكريم كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات التي حيكت وتحاك ضد لغة القرآن، يدافع عنها ويذود عن حياضها، يقرع أسماعهم صباح مساء.... ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم، وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن" [2]. فاللغة العربية هي لغة القرآن، والدفاع عن القرآن الكريم دفاع عن اللغة العربية؛ فهي محفوظة بحفظه،و باقية ببقائه.

- القرآن الكريم هو الباعث الأول على نشوء علوم العربية

فقد كان القرآن الباعث الأول على ظهور ونشأة العلوم اللغوية، رغم اختلاف أهداف وغايات كل علم، إلا أنها لا تخرج عن خدمة القرآن الكريم، فهما وضبطا وقراءة، وغير ذلك من المرامي والأهداف، يقول عبده الراجحي: " ومن ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم؛ فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة، وتفسير تسعى إلى هدف واحد هو فهم النص القرآني ."[3]

فالنحو كان الباعث على ظهوره قراءة القرآن بشكل صحيح وسليم، وكذا تزويد علم التفسير بالآليات المساعدة على فهم القرآن الكريم، لاسيما بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول الأعاجم إلى الإسلام، أما البلاغة فكان هدفها الأسمى هو البحث عن موطن الإعجاز في القرآن الكريم.

---

[1] ينظر الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج2، ص 62.
[2] يوسف الشريجي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربيةوالتحديات المعاصرة، مجلة التراث العربي، ع 90، أفريل 2003، ص 121.
[3] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980، ص 10.

● توحيد لهجات العرب على لهجة قريش

أجمع الدارسون والمؤرخون أن القبائل العربية المتعددة كانت تتكلم بلهجات، أو لغات خاصة، وقد استطاع القرآن الكريم أن يوحد هذه القبائل على لغة "أدبية أصبحت هي اللغة الرسمية للناطقين بها رغم تباين لهجاتهم وتنائي ديارهم"[1] .

●تهذيب ألفاضها والسمو بأغراضها

كان العرب قبل الإسلام يعيشون في الصحراء حياة قاسية يميزها الحل و الترحال، والحروب بحثا عن موارد العيش، يتخلل هذه الحياة الكثير من الترف واللهو والغزل، وقد تأثرت لغتهم بهذه الحياة، فكان فيها الخشن الجاف، والوحشي المستكره، ومن أمثلــة ذلك " الهعخع" (نوع من النبات)، و"مستشزرات"(مرتفعات)، و"تكأكأتم"أي(اجتمعتم)، و"افرنقعوا" (تفرقوا)"،[2] وغيرها من الكلمات التي تمجها الأسماع وترفضها الطباع، وبنزول القرآن الكريم انتقل العرب من جفاء البداوة إلى لين الحضارة، فأصبحوا يتخيرون ألفاظهم بعناية، فابتعدوا بذلك عن الوحشي الغريب حتى أصبحت ألفاظهم أجمل " ما تخف به نطقا في الألسن، وقرعا للأسماع حتى كأنها الماء سلاسة، والنسيم رقة، والعسل حلاوة. "[3]

●تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية

من المعلوم أن الإسلام جاء للناس كافة عربا وعجما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ الآية: 28. هذا يعني أنه ينبغي للداخلين في الإسلام إتقان اللغة العربية لفهم القرآن الكريم، وصحة عبادتهم، وما نراه اليوم من انتشار اللغة العربية في مختلف أصقاع العالم كتركيا وبلاد فارس، وباكستان وأوربا، وأمريكا خير دليل على دور القرآن في تحويل العربية إلى لغة عالمية، وهذا بشاهدة المستشرق

[1] عبد الكريم بوغزالة، مجلة المنهل، مخبر اسهامات علماء إثراء ع الإسلامية، جامعة الوادي ، مج 4 ع 2، ديسمبر 2018، ص 24.

[2] ينظر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 12-13

[3] يوسف الشريجي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة مرجع سابق ص 126

الألماني تيودور نولدكة: " لم تصر العربية حقا لغة عالمية إلا بسبب القرآن والإسلام، إذ تحت قيادة القرشيين فتح البدو وسكان الواحات نصف العالم، وللإيمان، وهكذا صارت العربية لغة مقدسة أيضا". [1]

فقد أسهم العرب في نشر العربية إسهاما كبيرا؛ لأن المسلم مطالب بتعلمها لفهم تعاليم دينه، وإقامة شعائره، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وبذلك أصبحت العربية لغة عالمية بعد أن اقتصر وجودها على شبه الجزيرة العربية، ولولا القرآن ربما اندثرت بفعل الحملات الصليبية، كما اندثرت كثير من اللغات الأخرى.

وخلاصة القول أن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية كبير، و لا ينكره إلا جاحد أو مكابر؛ فقد أخرجها من المحلية إلى العالمية، كما أنها ستبقى خالدة بخلوده لوجود علاقة تلازم بينها وبين القرآن الكريم .

ب2 أثر القرآن في الأدب العربي

كان العرب قبل الإسلام ينظمون الشعر ويتدارسونه، لكن بمجيء الإسلام أصبح القرآن محور اهتمامهم الأول، فقد انكبوا على دراسته، والبحث في أسرار فصاحته وبلاغته، ومن ثمة تأثروا بأساليبه، وهذا ما ظهر جليا في نثرهم وأشعارهم " فراحوا ينسجون على منواله تارة، ويضمنون أشعارهم بعض الآيات تارة أخرى"[2] ولم يقتصر هذا التأثير على التضمين و التناص، بل حتى على مستوى الصورة الشعرية، كما ظهر عند العديد من الشعراء مثل تميم بن مقبل في قوله: "والحق يعرفه ذوو الألباب، وكعب بن زهير في قوله : والضاربون علاوة الجبار "[3]

[1] تيودور نولدكه، اللغات السامية، ت رمضان عبد التواب، دار النهضة، القاهرة، دت، ص 75.
[2] الحاج علي هوارية، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي، شعر البحتري أنموذجا / مجلة إحالات، ع 4، ديسمبر 2010، ص 99.
[3] عودة سويلم الشمري،أثر القرآن في شعر صدر الإسلام، جريدة الوطن،2016/1/14 https://www.alwatan.com.sa/article/286961

ولم يقتصر هذا التأثير على الشعراء القدامى، بل امتد إلى الشعراء والخطباء المعاصرين والمحدثين، مثل أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم والبشير الإبراهيمي وسيد قطب وغيرهم،بل إن هناك دراسات أثبتت وجود تناص قرآني في رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ و..... لنعيم عموري وخليل برويني ...[1]

خلاصة القول أن القرآن الكريم قد أثر في اللغة العربية وآدابها تأثير عميقا، فقد أخرجها من المحلية إلى العالمية، كما أسهم في تقويتها وتوحيدها بعد أن هذب ألفاظها ونقلها من جفاء البداوة إلى لين التحضر، فأصبحت عذبة الأساليب واضحة الأفكار، بل امتد أثر القرآن إلى لغات أخرى لا تدين شعوبها بالإسلام،كما أثبتت ذلك العديد من الدراسات المعاصرة.

القسم الثاني: بعض مصطلحات علوم القرآن

يعد المصطلح ركيزة أساسية من الركائز التي تقوم عيها العلوم في عرض مادتها العلمية، ولهذا

سنعرف بعض مصطلحات علوم القرآن، ومنها القرآن، والكتاب،و والوحي، والمعجزة والنبي.

أولا:تعريف القرآن الكريم

أ/ تعريفه لغة

اختلف علماء اللغة في تفسير كلمة أصل كلمة " قرآن"، فهو عند بعضهم غير مهموز مثل:

ابن كثير فهو عنده (القُران) بحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى الراء الساكنة قبلها، فهو عنده على وزن (فُعال) من القرن، أي سوره يقرن بعضها بعضا[2]

[1] ينظر: نعيم عموري وآخرون، التناص الديني في رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ،مجلة الدراسات اللغوية والأدبية الجامعة الإسلامية بماليزيا،ع 1 جوان 2011 ص 138 ومابعدها

[2] إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم ، دمشق، ط1، 2006، ص 214.

إلا أنه في الأصل مصدر قرأ. والقُرء هو الجمع وسمي القرآن قرآنا؛ لأنه جمع السور والآيات وضمها، وجمع العلوم والحكم. ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ القيامة الآيتين : 18.17.فهو مصدر على وزن فعلان بالضم كالغفران والشكران [1] وعلى هذا فهمزته أصلية وأكثر القرآن يهمزه.

ب/ اصطلاحا

عرف العلماء مصطلح "القرآن "تعريفات عديدة وباعتبارات مختلفة، ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه:" كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته "[2]. ويضيف بعضهم قيودا أخرى مثل: المنقول إلينا بالتواتر، أو بواسطة جبريل، أو المكتوب في المصاحف.[3]

شرح التعريف

قولنا :"كلام الله" خرج به كلام الإنس والجن والملائكة .

قولنا:" المنزل" أخرج بذلك غير المنزل مما استأثر الله بعلمه، أو أعلم به ملائكته دون خلقه.

وقولنا: "على محمد صلى الله عليه وسلم" أخرج سائر الكتب المنزلة على غيره من الأنبياء السابقين، مثل التوراة والإنجيل.

وقولنا: "المتعبد بتلاوته" ما لا يتعبد به الحديث القدسي، والمراد بالمتعبد بتلاوته آمرين:

الأول: أن الصلاة لا تصح إلا به لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)

[1] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص19.
[2] فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن ، مكتبة الملك فهد،ط14، 2005، الرياض، ص 23.
[3] ينظر: عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ت فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، دط ، دت، ،ص 21.

والثاني: أن الثواب على تلاوته عبادة، فقد روى ابن مسعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولا حرف وميم حرف) .[1]

الفرق بين القرآن والحديث القدسي

ذكر العلماء فروقا كثير نذكر بعضها فيما يأتي:

*القرآن كلام الله تحدى به العرب وغيرهم؛ فعجزوا عن الإتيان بمثله، أما الحديث القدسي فلم يقع به تحدي أو إعجاز.

*القرآن منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، أما الأحاديث القدسية فأغلبها آحاد، فهي ظنية الثبوت.

*القرآن من عند الله لفظا ومعنى، فهو وحي باللفظ والمعنى، أما الحديث القدسي فمعناه من عند الله باتفاق العلماء ، أما لفظه مختلف فيه.

*القرآن واجب في الصلاة ومتعبد بتلاوته، فيثاب قارئه على كل حرف منه بعشر حسنات، أما الحديث القدسي فيثاب قارئه ثوابا عاما.

أسماء القرآن وصفاته.

اختلف العلماء في عدد أسماء القرآن الكريم، فذكر الزركشي أن الحوالي صنف في ذلك جزءا، وأنهى أساميه إلى نيّف وتسعين [2] والقاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك ذكر أن الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما [3] ومن أبرز **أسماء القرآن الكريم:**

[1] ينظر:دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 24.
[2] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1984، مكتبة التراث، القاهرة ج1، ص 273.
[3] ينظر المرجع نفسه ص 273.

-الكتاب في قوله تعالى: ﴿ حم ﴿١﴾وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ الدخان. الآيتين: 1. 2

-القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ الواقعة الآية: 77.

-الفرقان في قوله تعالى:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان الآية: 1.

-الذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر الآية: 09.

صفات القرآن الكريم : للقرآن الكريم صفات عدة نذكر بعضها:

*المبارك في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ الأنعام الآية: 92 .

*هدى ورحمة في قوله تعالى:﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ لقمان الآية: 03.

*الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ الواقعة الآية: 77 .

*الحكيم في قوله تعالى: ﴿ الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ يونس الآية: 1.

والملاحظ أن الاسم يمكن أن يطلق مفردا معرفا دون الحاجة إلى صفة توضحه مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾الإسراء الآية: 09، أما الصفة فهي تذكر دائما بعد الموصوف سواء أكان ظاهرا، أم مقدرا مثل قوله تعالى: ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ يسين الآية: 2.

ثانيا:الكتاب

أ/ تعريفه لغة

تقول (كتب) ، الكتاب كتبا، وكتابا، وكتابه خطه، فهو كاتب (ج) كتاب، وكتبة .

ويقال كتب الكتاب: عقد النكاح [1]

هذا يعني أن مادة "كتاب" تدور حول ما هو مكتوب ومخطوط.

لفظة الكتاب في القرآن الكريم

وردت لفظة الكتاب في القرآن الكريم في عدة مواضع، وبدلالات مختلفة منها:

-الشريعة والدين الذي سنه الله للإنسان، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾البقرةالآية:213. كما ورد هذا المعنى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم)[2] فالكتاب هنا بمعنى الشريعة والدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

- النظام الزمني والأجل، والنظام الزمني هنا متعلق بحالات مختلفة ومتعددة، مثال ذلك نظام المرأة المطلقة والأرملة في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ﴾ البقرة الآية: 235." يعني حتى تنقضي العدة" [3]

-اليهود والنصارى في قوله تعالى :﴿قُلْيَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗوَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ آل عمران الآية: 99.

جاء في تفسير الجلالين للسيوطي:" أهل الكتاب: اليهود والنصارى"4.القرآن ومنه قوله تعالى: :﴿ آلم الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة 1 الآية:، وقوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية،ط4، 2004، ص 774.
[2] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم،بيروت، ط1، 2000، ص 269.
[3] المرجع نفسه، ص301.
[4] حلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ت فخر الدين قباوة، دار الحديث، ط1، 2004، ص 62.

وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ النساء الآية: 105. قال السيوطي في تفسير هذه الآية: "إنا أنزلنا إليك الكتاب : القرآن"[1].

وهناك معان أخرى لم نشر إليها لضيق المقام، لكن مما سبق ذكره نستخلص أن الله سبحانه وتعالى وظف لفظة " الكتاب" بصيغ كثير ومختلفة، فتارة بالإضافة : " يأهل الكتاب" ، وتارة بالتعريف " الكتاب". وأحيانا بالتنكير " كتابا"، وغالبا ما تختلف كل صيغة عن غيرها من الصيغ. والمعول عليه في فهم ذلك هو التفاسير، وكتب علوم القرآن المشهود لأصحابها بالعلم، والورع والتقى،حتى لا يفهم كتاب الله فهما خاطئا، أو يتقوّل الإنسان على سبحانه وتعالى والعياذ بالله.

ثالثا:الوحي

أ/تعريفه لغة

تدل مادة " وحي" على إعلام في خفاء وسرعة، جاء في لسان العرب: وحى إليه، وأوحى: كلمه بكلام يخفيه عن غيره، و وحى إليه وأوحى: أومأ، وفي التنزيل العزيز:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾مريم الآية: 11[2] فالوحي هو الإشارة والإعلام الخفي.

أنواع الوحي بالمعنى اللغوي :له عدة معان نذكر منها:

1/ الإلهام الفطري للإنسان، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ﴾ القصص الآية: 07.

[1] المصدر السابق، ص 96.
[2] ابن منظور، لسان العرب،ت ع الله علي كبير وآخرين دار المعارف، القاهرة، مادة وحي، ص 4787.

2/الإلهام الغريزي للحيوان، قال تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾النحل الآية: 68.

3/ الأمر الكوني للجمادات، قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ الزلزلة الآية: 01.

4/ما يلقيه الله إلى ملائكته من لأمر ليفعلوه، قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ﴾ الأنفال الآية: 12.

5/ وسوسة الشيطان قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ الأنعام: 121.

ب/ الوحي اصطلاحا

اختلف العلماء في تعريف الوحي، فمنهم من عرفه بمعنى الموحى، فيقول: " هو كلام الله تعالى المنزل على أحد أنبياءه "[1]، ومنهم من عرفه باعتبار الفعل في حد ذاته فقال: " هو إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي، ونحوه"[2]، وعرفه آخرون بقولهم: هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بوساطة أو بغير وساطة، والأول – بواساطة – يتمثل لسمعه، أو بغير صوت"[3].

نستنتج من التعريفات السابقة مجموعة من النقاط:

- تعدد صور الوحي وأشكاله.
- فهم الأنبياء لما يوحى لهم من قبل الله سبحانه وتعالى.
- كل الأنبياء يوقنون أن ما يوحى عليهم من عند الله سبحانه وتعالى .
- مخاطبة الله سبحانه وتعالى لكل نبي بلسان قومه دليل سعة علمه، وأولويته.

[1] دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 194.
[2] فضل عباس، محاضرات في علوم القرآن،دار النفائس ، الأردن، ط1، 2007، مرجع سابق، ص 42.
[3] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

أنواع الوحي بالمعنى الشرعي: وهو عدة أنواع:

أ/ ما يكون مناما :عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلـــق الصبح"[1] وهذا ليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسم فقط، بل وقـــع حتى لإبراهيم عليه السلام، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ الصافات الآية: 102 .

ب/ التكليم المباشر من وراء حجاب، قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾الشورى الآية: 51، وهو أن يسمع النبي كلام الله من غير أن يدرك مصدر هذا الكلام، مثل: تكليم الله لموسى عليه السلام، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ أو من وراء حجاب﴾[2].

3/ ما يكون بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾. وهذا أشهر الأنواع وأكثرها، ووحي القرآن كله من هذا القبيل[3]، وقد كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بإحدى حالتين:

-أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، وهذه أشهدها وقعا على النبي صلى الله عليه وسلم.

-أن يأتيه في صورة رجل مثل: دحية الكلبي [4].

4/ ما يكون إلهاما يقذفه الله في قلب نبيه لا يستطيع له دفعا، ولا يجد فيه شكا [1]، ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: " إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب" [2].

---

[1] محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير ، دمشق، ط1، 2002، ص 7- 8.
[2] ينظر محاضرات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 43.
[3] ينظر دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 199.
[4] المرجع نفسه، ص 205.

مما سبق يمكن القول أن الوحي ظاهرة غير اختيارية يصطفي الله بها من يشاء من عباده الأخيار لتبليغ كتبه السماوية، فهي قوة أعلى من قوة النبي المختار لتحمل الرسالة، ويكون الاختيار وفق ضوابط ومعايير لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

رابعا:المعجزة

أ-تعريفها لغة:

جاء في لسان العرب العجز بمعنى : الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان؛ أي فاتني، ويقال عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه[3].

ب -اصطلاحا

عرفها العلماء تعريفات عديدة نورد واحدا منها، وهو " أمر خارق للعادة من ترك أو فعل مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"[4].

أنواع المعجزة

تنقسم المعجزة إلى قسمين:

أ/ حسّية، مثل: عصا سيدنا موسى عليه السلام

ب/ عقلية، مثل: القرآن الكريم.[5]

---

[1] ينظر المرجع السابق، ص 197.
[2] ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها
[3] ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت، دت، ج5،ص37.
[4] بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1992 ،ص11.
[5] المرجع السابق ، ص 11.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المعجزة لا يمكن أن تقع إلا على يد نبي يصطفيه الله لنقل رسالته، هذا يعني أن هناك شروطا ومزايا للمعجزة، وهذا ما سنفصله أكثر في موضوع الإعجاز القرآني.

خامسا: النبي

أ- لغة

اختلف العلماء في أصل كلمة " نبي"، فقد قال بعض العلماء الأصل فيه الهمز، ثم ترك همزه تخفيفا واستدلوا بقولهم: مسيلمة نبيء سوء "[1]. وقال بعضهم هو من النبوة؛ أي النبئ هو المخبر عن الله تعالى، وترك الهمز هو المختار ، ج أنبياء ، ونباء ، وأنباء، والنبيؤون، والاسم النبوءة [2].

وقال بعض العلماء: هو من النبوة، أي الرفعة وسمي نبيا لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ مريم الآية: 57. فالنبي بغير همز أبلغ من الهمز[3]. وقال البعض أن كلمة "نبي" من نَبأَ ينبأ؛ أي خرج من أرض إلى أرض [4].

لكن الراجح أن النبي مشتق من النبأ بمعنى الخبر، إذ تصاريف الكلمة تدل أن النبي مشتق من النبأ بمعنى الخبر، والجمع: أنبياء وخففت الهمزة تسهيلا.

ب-اصطلاحا

لايمكن تعريف مصطلح "النبي" إلا بتعريف مصطلح " النبوة"، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "... وهذا معنى النبوة، وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب، وأنه ينبئ الناس

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، دت، ج1، ص 623.
[2] الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص1571.
[3] ينظر مفردات غريب القرآن، ص 623.
[4] ينظر: ذياب بن مدحل، الفرق بين النبي والرسول، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، دت، ص 209-210.

بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه "[1].

فالنبي هو من يخبره الله بالغيب ليخبر الناس به، وهذا يستدعي منا التفريق بين مصطلحي النبي والرسول.

الفرق بين الني والرسول

اختلف العلماء في الفرق بينهما، فمنهم من قال لا يوجد فرق بينهما، فكل نبي رسول وكل رسول نبي، وينسب هذا الرأي للرازي والجرجاني والمعتزلة[2]، ومنهم من قال أن الرسالة أعم من النبوة، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول [3] مستدلين بأدلة كثيرة يصعب حصرها فهي هذا المقام [4] .

لكن الراجح – والله أعلم–أن الرسالة مرتبة فوق النبوة، وقد أوتيهما خير الخلق أجمعين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو نبي ورسول مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد مِّن رِّجَالِكُم وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّنَ﴾الأحزاب الآية:.140

[1] ابن تيمية مجموع الفتاوى إعداد: محمد بن عبد الرحمان بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة،1425ه ج18،ص07
[2] ينظر ، الفرق بين النبي والرسول، مرجع سابق، ص 218.
[3] المرجع نفسه، ص 2018.
[4] لمزيد من الإطلاع ينظر المرجع نفسه ،ص 224 وما بعدها.

المحاضرة الثانية: تاريخ القرآن

إن البحث في تاريخ القرآن أمر ضروري جدا للمسلم وغيره؛ فهو الذي يتعرّف من خلاله على تنزلات القرآن الكريم،و بدايات الوحي، وكذا مراحل جمع القرآن، وهو ما سيزيده تمسكا بدينه، ويمنحه وسائل الدفاع عنه.

أولا :نزول القرآن

أ/النزول لغة

النزول في اللغة يعني: الحلول، قال تعالى:﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المؤمنون، الآية: 29 ونزل من علو إلى أسفل : انحدر[1]

ب/ اصطلاحا

يرى العلماء أن إنزال القرآن لا يحُمل على الحقيقة، بل أمر مجازي، ولهم فيه توجيهان **الأول** المقصود منه إنزال حامله، وهو جبريل عليه السلام ، **الثاني** : يقصد منه لازم الإنزال ، وهو الإعلام .

وكلا المعينين مجازي، أما الأول فظاهر، أما الثاني فلأن إنزال شيء ما يلزم منه إعلام المنزل إليه بهذا الشيء، وإيصاله له فمعنى إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم إيصاله إليه وإعلامه به، وهذا هو معنى إنزال القرآن الذي لا ينبغي تجاوزه، كما أشار إلى ذلك العلماء [2]

مراحـل نزول القـــــرآن

نزل القرآن الكريم على مراحل نوجز الحديث عنها فيما يأتي:

[1] ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، ص 4399

[2] ينظر فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن ، دار النفائس للنشر والتوزيع، ص 84.

1/ النزول إلى اللوح المحفوظ دليله قوله تعالى:﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ البروج الآيتين: 21-22 ، وكان هذا الموجود في اللوح بطريقة، وفي وقت لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وكان جملة لا مفرقا لأنه الظاهر من الآية، كما ذهب إلى ذلك الشيخ عبد العظيم الزرقاني رحمه الله[1].

أما الحكمة من هذا النزول فهي متعلقة بالحكمة العامة من وجود اللوح نفسه وإقامته سجلا جامعا لكل ما قضى الله سبحانه وتعالى وقدره، وكل ما كان ويكون من عوالم الإيجاد والتكوين؛ فهو شاهد ناطق ومظهر من أروع المظاهر الدالة على عظمة الله وقدرته، وهذا من شأنه أن يقوي إيمان العبد ويوثق صلته بربه، كما يدل على السكون والرضا بما قدره الله تعالى من مصائب [2].

2/ النزول إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وقد استدل العلماء على هذا النزول بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ الدخان.الآية: 03 . وقوله جل شأنه: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ القدر الآية:1.

وقوله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ﴾ البقرة الآية: 185،يقول عبد العظيم الزرقاني: "[3]دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة "[4].

وقد كان هذا النزول جملة واحدة في ليلة واحدة هي ليلة القدر، كما فهمه العلماء من نصوص الآيات الثلاث السابقة.

[1] ينظر مناهل العرفان، مرجع سابق، ج1، ص 39
[2] ينظر المرجع نفسه، ص 39.
[3] المرجع نفسه، ص 39.
[4] المرجع نفسه، ص 39.

3/نزول القــرآن إلى الأرض كان هذا النزول بواسطــة أمين الوحــي جبريل يهبط بــه علــى قلب النبي صلى الله عليه وسلم [1] ودليــل ذلك قولــه تعالى في سورة الشعراء مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام:﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ الشعراء الآيات:193-195..

وقد اختلف العلماء في مدة نزوله إلا أن أقربها إلى الصواب – والله أعلم– أنه نزل منجما في مدة 23 سنة [2].

الحكمة من نزوله منجما

التنجيم في **اللغــة** هــو التفريق، ومعنى نزول القرآن منجما أي مفرقا، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ القرقان الآية:32 وقوله جل شأنه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء الآية: 106 .

فقد أرشدت الآيتان إلى الحكمة من نزوله مفرقا، لكنهما لم تشيرا إلى جميع الحكم، فبعض الحكم استنبطها العلماء، وهذه بعض الحكم والأسرار:

1– تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الآية الأولى: ﴿ لنثبت به فؤادك﴾

2– مسايرة الحوادث فكلما جد جديد نزل من القرآن ما يناسبه، فكثير من الآيات والسور ترتبط بحادثــة أو سبب نزول معين مثل بداية سورة المجادلة: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة الآية: 1 ، وتبرئة عائشة رضي الله عنها من حادثة الإفك ، وسورة المسد، وهذا مظهر من

[1] البرهان، مرجع سابق، ص 42.
[2] ينظر محمد سالم محيسنن، تاريخ القرآن، سلسلة مجلة دعوة الحق، السنة الثانية، ص 12.

مظاهر الإعجاز ، لكن هذا لا يعني أن جميع آي القرن متعلق بأسباب نزول، وهذا ما سنتطرق إليه في درس أسباب النزول.

3- دفع شبه الكفار والإجابة على أسئلة السائلين، والأسئلة نوعان، منها ما طرحه الكفار قصد تعجيز النبي صلى الله عليه وسلم، أو التثبت من رسالته، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء الآية:85، فهم سألوه من أجل التأكد من رسالته، وهناك أسئلة تطرح لمعرفة حكم الله في أمر معين مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ﴾ البقرة الآية: 219.

4- تنبيه المسلمين ولفت أنظارهم لتصحيح بعض أخطائهم، مثال ذلك قوله تعالى متحدثا عن غزوة أحد: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ التوبة الآية:25.

5- تيسير حفظ القرآن، فنزوله آيات آيات يساعد على حفظه؛لأنه لا يمكن حفظ سورة طويلة مثل البقرة دفعة واحدة، بل تجزأ ليسهل حفظها.

6- كشف حال المنافقين وفضحهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يأمنوا شرهم وغدرهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة الآية: 08.

07- الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله تعال وحده [1] من خلال مسايرته للحوادث ونزوله آيات متفرقة، ورغم ذلك نجد تناسبا عجيبا بين سوره وآياته وجمله، واتساقا بين أوله وآخره

[1] ينظر مناهل العرفان، ص 52 وما قبلها

المحاضرة الثالثة:مراحل جمع القرآن

الجمع لغة

جمع الشيء عن تفرقة، يجمعه جمعا، وأجمعه فاجتمع، وجمعت الشيء إذا جئت به من هنا وهنا [1] فمادة الجمع عموما تدل على ضم الشيئ بعضه لبعض بعد أن كان مفرقا .

أما معنى جمع القرآن فيطلق ويراد به أحد الأنواع الآتية:

أ/ جمعه بمعنى حفظه في الصدور

ب/ جمعه بمعنى كتابته وتدوينه كله

ج/ جمعه بمعنى تسجيله تسجيلا صوتيا

أولا جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور

أ/ حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن

كان النبي صلى الله عليه وسلم أول من حفظ القرآن الكريم، فهو سيد الحفظ، وأول الجُماع[2] وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في بدايات الوحي حريصا على حفظ القرآن واستظهاره، حتى أنه كان يحرك به لسانه استعجالا لحفظه مخافة أن تفوته كلمة، أو حرف فطمأنه ربه عز وجل: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾ القيامة الآيات: 16-19،كما كان جبيريل عليه السلام يعارضه إياه مرة في كل عام،وعارضه إياه في العام الأخير مرتين، [3] فهو أول من جمع القرآن الكريم في صدره بعناية إلهية مباركة.

---

[1] لسان العرب، مج 08 باب العين، ص 53

[2] ينظر مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح ص 65.

[3] ينظر مناهل العرفان، مرجع سابق، ص 198.

ب/ حفظ الصحابة

شجع النبي صلى الله عليه وسلم صحابته على تعلم القرآن الكريم، فأقبلوا عليه يحفظونه ويتعلمونه، بل يتنافسون في استظهاره وتدارسه، فظهر بذلك جمع غفير من حفاظ القرآن الكريم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، منهم الخلفاء الأربعة، وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله ومعاوية، وابن الزبير ، وعبد الله بن السائب، وعائشة وحفصة، وأم سلمة وهولاء كلهم من المهاجرين، ومن الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وغيرهم[1]

من هنا نستنتج مدى عناية الصحابة بالقرآن واهتمامهم به، فقد كان عددهم في تزايد مستمر، ولم يشغلهم عنه شاغل ولا صارف، بل كان همهم الأول، يحفظونه ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار.

ثانيا جمعه بمعنى كتابته

أ/ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

كان الحفظ في الصدور هو المعول عليه أيام الوحي الأولى، إذ حرصوا على نقشه في صدورهم أولا، لكن هذا لم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخاذ كتاب للوحي كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته زيادة في توثيقه، ومن أشهر كتبة الوحي أبو بكر الصديق، وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ,وأبي بن كعب، وغيرهم، وكان يدلهم على موضع المكتوب من سورته فيكتبونه [2] ثم يوضع هذا المكتوب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .وهكذا انقضى العهد النبوي والقرآن مجموع على هذا النمط

[1] المرجع السابق، ص 199.
[2] ينظر المرجع السابق، ص 202

وسائل الكتابة

لم تكن وسائل الكتابة متوفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتخذون وسائل بدائية مثل:

-**العُسب** – بضم العين والسين- ج م عسيب، وهو جريد النخل

-**اللخاف** – بكسر اللام- ج م لخفة، وهي الحجارة الرقيقة

-**الرقاع** ج م رقعة، وقد تتكون من جلد أو ورق ..

-**الأديم** : الجلد

-عظام الأكتاف والأضلاع [1]

وهنا نلحظ أنه على الرغم من انعدام وسائل الكتابة إلا أن الصحابة بذلوا جهودا مضنية في كتابة القرآن، وهذا دليل على تعلقهم به وخوفهم الشديد من ضياعه ، أو تحريفه.

مميزات الجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

تميز الجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعدة مميزات نوجزها في النقاط الآتية:

1-جمع القرآن برعاية إلهية، وهذا مصداقا لقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه ﴾ القيامة الآية:17، إذ لو كان هناك أدنى خطأ لنزل الوحي منبها ومصححا.

2-كانت كتابته بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن.

3- بعض الصحابة كان قد كتب منسوخ التلاوة، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد[2].

4- كان القرآن غير مرتب ولا مجموع في صحف ولا مصاحف عامة.

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها
[2] المرجع نفسه 203

المرحلة الثانية : جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تولى أبو بكر الخلافة، وقد واجهته الكثير من الفتن أبرزها ارتداد بعض القبائل العربية عن الإسلام؛ مما دعا أبا بكر لمحاربتهم، ومن المعارك الحامية التي خاضها جيش المسلمين ضد جيش المرتدين معركة اليمامة سنة (12هـ) بقيادة مسيلمة الكذاب، وقد استشهد فيها كثير من قراء الصحابة و حفضتهم للقرآن، ينتهي عدهم إلى السبعين، وأنهاه بعضهم إلى خمسمائة، فخشي عمر بن الخطاب من استحراء القتل بالقراء بالمواضع، فأقبل على أبي بكر حاثا إياه على ضرورة جمع القرآن في مكان واحد، فتردد الصديق أول الأمر مخافة إحداث شيء في الدين لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، ومازال عمر يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر للذي شرح له صدر عمر، فكلف زيد بن ثابت، ومجموعة من كبار الصاحبة بجمع القرآن الكريم، وفي ذلك يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه : " فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تعملان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال: هو والله خير ، ولم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبا بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف وصدور الرجال " [1].

من هنا يظهر أن سبب جمع القرآن في عهد أبي بكر هو الخوف من ذهاب شيء منه بموت حفاظه من الصحابة، ثم إن عملية الجمع كانت بعد اقتناع جل الصحابة بما أشار به عمر بن الخطاب رضي الله عنه

منهج الجمع:ويمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

*عدم الاكتفاء بالحفظ دون الكتابة.

[1] مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 113

*لابد لمن تلقى شيئا حفظا أو كتابة من رسول الله أن يشهد له شاهدان، كما قال أبو بكر لعمر وزيد: " اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. " [1]

*لا يأخذون شيئا من المحفوظ في الصدور أو السطور إلا إذا كان منقولا مباشرة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ورد في قول عمر: " من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فليأت به ...وكان لا يقبل شيئا حتى يشهد له شاهدان ."[2]

الجمع في عهد عثمان بن عفان

بعد وفاة الصديق رضي الله عنه آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمرت الحال على ما هو عليه في عهد الصديق، لكن في عهد عثمان بن عفان اتسعت الفتوحات، و أتاحت للمسلمين الفاتحين فرص الالتقاء ببعضهم البعض، وكانوا من قبائل شتى، فمنهم العربي وغير العربي، وكانوا يتدارسون القرآن، وكل واحد يقرؤه وفق ما تعلمه من الصحابة، فادعى كل منهم صحة قراءته، وقد برز هذا الخلاف بشكل لافت في فتح أرمينية و أذربيجان، فأفزع ذلك حذيفة بين اليمان، فهرع إلى عثمان قائلا: " يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم، حتى إذا نسخوا

[1] المرجع السابق، ص 114.
[2] المرجع نفسه، ص 14.

الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف أن يحرق" [1]

من هنا نستخلص أن سبب الجمع في عهد عثمان هو حسم الخلاف و درء الفتنة وجمع الناس على حرف واحد ومصحف إمام يتعلمون منه، وحرق ما سواه، وقد كان ذلك بعد مشاورة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أجمعوا على ضرورة قطع الخلاف وجمع الناس على حرف ورسم واحد.

مميزات الجمع في عهد عثمان: تميز الجمع في عهد عثمان بن عفان بعدة مميزات نذكر بعضا منها:

1-جمع القرآن بهدف حسم الخلاف بين المسلمين، وجمع الناس على مصحف واحد.

2-كتبت المصاحف بلغة قريش ليكون موافقا في رسمه لنطق النبي صلى الله عليه وسلم

3-جمع القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة.

4-المصدر المعتمد عليه في كتابة المصاحف هو الصحف التي كتبها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق.

5- كان مصحف عثمان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف في المصاحف اليوم، والتي تحمل عادة عبارة " موافق للرسم العثماني".

6- نشرت المصاحف الموحدة في مختلف الأمصار الإسلامية .

7-نستنتج أيضا تحسنا ملحوظا في وفرة أدوات الكتابة بحكم اتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتكاكهم بغيرهم من الشعوب الأخرى.

[1] غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن دار عمار، عمان ، ط1، 2003، ص 64.

الفرق بين جمع أبي بكر وعثمان

اهتم العلماء بالبحث عن الفرق بين جمع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وسنحاول تلخيص هذه الفروق في النقاط الآتية:

- اختلاف دواعي وأسباب كل جمع، فجمع أبي بكر كان الباعث عليه الخشية من ضياع شيء منه بموت حفاظه ، بينما الباعث على جمع عثمان هو الخوف من الفتنة باختلاف وجوه القراءة.
- جمع أبي بكر كان على الأحرف السبعة، بينما جمع عثمان كان على حرف واحد.
- اتفق العلماء على أن جمع أبي بكر كان مرتب الآيات، بينما اختلفوا في ترتيب السور.
- اختلاف منهج جمع أبي بكر عن منهج جمع عثمان لاختلاف أهداف وغايات كل جمع.
- جمع عثمان كان في عدد من المصاحف التي أرسلها إلى الأقاليم، بينما كان جمع أبي بكر في في مصحف واحد احتفظ به عنده

معايير ترتيب الآيات والسور

أ/ ترتيب الآيات في السور.

اتفق العلماء على أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي ثابت بالوحي ببيان النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته وقراءته للقرآن عليهم، وبذلك لم يعرف عن الصحابة أنهم اختلفوا في موضع آية من القرآن، بل كل آية قد عرف موضعها بتبليغ من جبريل عليه السلام، [1] فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أتاني جبريل فأمرني أن

[1] ينظر المرجع السابق، ص 70.

أضع هذه الآية في هذا الموضع من هذه السورة،"[1] والآية هي ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ النحل الآية:90

فهذا دليل واضح وصريح – والأدلة كثيرة- على أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي من عند الله سبحانه وتعالى، وقد اجمع كل علماء الأمة على هذا الرأي ولم يقل أحد بخلافه.

ب/ ترتيب السور

اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم، ولهم في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول:ترتيب سور القرآن الكريم كان باجتهاد الصحابة، وهو قول جمهور العلماء كالإمام مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه.[2]

القول الثاني : بعضه توقيفي، وبعضه كان باجتهاد الصحابة، قال ابن فارس: (جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبهما بالمئين، فهذا هو الجمع الذي تولاه الصحابة رضوان الله عليهم، وأما الجمع الآخر فضم الآي بعضها إلى بعض، وتعقيب القصة بالقصة فذلك شيء تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر به عن ربه.[3]

القول الثالث: إن ترتيب سور القرآن توقيفي من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

قال أبو جعفر النحاس المختار : إن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث واثلة : (أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأُعطيت مكان

[1] السيوطي الإتقان ج1، مرجع سابق، ص 135
[2] ينظر الإتقان، مصدر ساق ص 137
[3] ينظر الزركشي البرهان ، مرجع سابق ، ج1 ص 258-259.

الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل)[1].

وقد رجح كثير من العلماء، ومنهم الشوكاني والزركشي أن ترتيب السور في المصحف الشريف توقيفي من عند الله سبحانه وتعالى بلغه لنبيه عن طريق آمين الوحي جبريل عليه السلام، وهو بلغه لصحابته كما سمعوه منه.

حكمة تسوير القرآن : ذكر العلماء حكما كثيرة نذكر بعضا منها:

*تيسير حفظ القرآن الكريم، إذ لو كان سبيكة واحدة لشق حفظه .

*الإشارة لموضوع السورة وأهدافها، فكل سورة لها موضوع خاص وهدف معين ، فسورة يوسف تترجم لقصته،وسورة التوبة تتحدث عن المنافقين وتكشف أسرارهم .[2]

* إن تقسيم القرآن إلى سور طويلة وقصيرة يستخلص منه أن الطول ليس شرطا في التحدي والإعجاز فالسورة معجزة ولو كانت قصيرة .

*مراعاة الجانب النفسي للقارئ فإذا ختم سورة أو جزءا كان ذلك محفزا على زيادة الحفظ والتلاوة.

[1] البرهان، ج1، ص 258
[2] ينظر :دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 124.

المحاضرة 04 مكونات النص القرآني

أولا: اللفظة ، العبارة، الآية ، السورة.

ارتبط الدرس اللغوي ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، وهذا الارتباط شمل جوانب مختلفة، صوتا وصرفا ونحوا ودلالة وبلاغة، وقد ساعد هذا الارتباط على كشف العديد من أسرار هذا الكتاب، سواء على مستوى المفردة الواحدة، أم على مستوى العبارة ، وسنبدأ حديثنا على مستوى المفردة.

أ/ المفردة القرآنية

تعريفها لغة

يقال جاء القوم فُرادَ، وفِراداً، وفرادى: واحدا بعد واحد، وفي التنزيل﴿ وَلَقَد جِئتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقنَٰكُم أَوَّلَ مَرَّة ﴾ الأنعام:94، والفرد المتفرد المتوحد، والأنثى (بتاء)[1].

وعليه تلتقي المفردة مع الفرد والإفراد والمفرد والفردية، وتدلنا على العدد واحد؛ فهي ضد التثنية والجمع.

تعريف المفردة اصطلاحا

عرفها العلماء تعريفات عديدة ، لكن قبل أن نورد تعريف المفردة القرآنية سنذكر تعريف المفردة عموما :

" هي المجموعة الصوتية التي تدل على معنى، وهذه المجموعة هي وحدة كلامية تقوم مقام الجزء من الكل في الجملة، وهي الجزء الأولي في بناء النظم والوحدة المكونة له فلا يغني أحدهما عن الآخر "[2]

[1] المعجم الوسيط، ص 680.
[2] أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، ط2، 1999، ص 20.

من هنا نستنتج أن المفردة لا تعني الكلمة، فالمفردة تشمل الاسم والفعل أيضا، حين يرتبط بعامل زمني معين، وإذا كان هذا الكلام متعلقا بالمفردة الأدبية فإن المفردة القرآنية " تعد الوحدة المكونة للآيات، وإنها عنصر فعال في توصيل المعنى إلى المتلقي بصورة بيانية من حيث إن الكلام الرباني محكم متماسك لا غنى فيه عن .مفردة، بل عن حرف"[1].

ثم إن المفردة القرآنية تتميز بجملة من الجماليات التي لا نجدها في المفردة الأدبية منها:

*تجسيم المعاني وتصويرها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴾ الشعراء 94-95 . يقول سيد قطب معلقا على الآيتين: " ...وإنك لتسمع من جرس اللفظ صوت دفعهم وسقوطهم بلا انتظام، وصوت الدبدبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الحروف، فهو لفظ مصور لجرسه بمعناه."[2]

- استخدام المترادفات في موضعها الأخص بها.

فالإنسان قد يستخدم ألفاظا ذات معان قريبة، أو معان عامة غير دقيقة، بينما يستعمل القرآن كل لفظة في موضعها الأخص بها، وفي ذلك يقول الجاحظ: " قد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، وفي موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع حال السلامة "[3]

وسنكتفي بذكر هذين المظهرين الجماليين؛ لأن هناك مظاهر أخرى سنتطرق إليها في موضوع الإعجاز ، لكن ما يمكن التأكيد عليه هنا هو أهمية المفردة القرآنية كمكون أساسي من مكونات النص القرآني، حيث لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزه، أو

[1] المرجع السابق، ص
[2] سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة،ت، ص 111
[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 20.

تناسيه أثناء دراسة مكونات النص القرآني وجوانبه الإعجازية، أو خلال تفسير النصوص القرآنية، وما تتضمنه من أحكام وحكم.

ب/ العبارة القرآنية

عرف اللغويون العبارة عموما بأنها:" كلمتان أو أكثر تترابط فيما بينهما حسب قواعد اللغة تتضمن معنى معينا، أو هي الكلام الذي يبين ما في النفس من معان"[1] . وبذلك تكون العبارة مكونا أساسيا من مكونات النص القرآني تقصر وتطول حسب المعنى، وحسب المراد والغـرض، فثمة آيات تتكون من كلمة واحدة، مثل الآية الرابعة والستين من سورة الرحمان: ﴿ مُدهَآمَّتَانِ ﴾ الرحمان 64.

وتتميز العبارة القرآنية عن غيرها من العبارات الأخرى بقدرتها على التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من عبارة، ولذلك نجد آيات كثيرة تعبر عن المعنى الواحد بألفاظ وأساليب متعددة مع كمال الفصاحة، وعدم الاختلاف، كما تتميز العبارة القرآنية بتناسق تراكيبها وترابطها مما يضفي عليها جمالا أخاذا ووقعا مؤثرا في النفس، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيتِهَا عَن نَّفسِهِۦ﴾ يوسف 23، " فالمراودة أدل في التعبير عن شدة رغبتها، لما فيه من الملاطفة والترفق، وتردد هذا الأمر منها وتكراره، إذ أن مادة (ر و د) نفسها تدل على مجئ وذهاب، ثم جاءت بصيغة المفاعلة التي تبين شدة رغبتها وشدة إصراره على الابتعاد"[2] .

أما قوله ﴿ عن نفسه﴾ فهو من مبتكرات القرآن الكريم، فهو كناية عن المواقعة، فالنفس أريد بها عفافه وتمكينها منه لما تريد، فكأنها تراوده عن أن يسلم إليها إرادته وحكمه في نفسه.[3]

[1] ميشل عاصي وإميل بديع يعقوب المعجم المفصل في اللغة والأدب، مج2، ص 810.
[2] أبو بكر بن محمد فوزي البخيت ، خصائص الأسلوب القرآني، منشورات جامعة الملك سعود، ط1، 1436هـ ، ص 426.
[3] ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فهذا تعبير جميل ومتناسق ودقيق في تصوير رغبة امرأة العزيز ومحاولاتها العديدة في نيل مرادها، وملامة شغاف قلب يوسف عليه السلام، ومثل هذه العبارات والأساليب كثيرة في القرآن لا يتسع المقام لذكرها.

ج/الآية

تعريف الآية لغة: أطلق لفظ الآية على معان متعددة منها:

-المعجزة ورد هذا المعنى في قوله تعالى:﴿ سَل بَنِي إِسرَٰٓءِيلَ كَم ءَاتَينَٰهُم مِّن ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ﴾

البقرة 211. أي كم آتيناهم من معجزة

-العلامة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُم إِنَّ ءَايَةَ مُلكِهِۦٓ أَن يَأتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُم﴾ البقرة 248. أي علامة ملكه.

-العبرة والموعظة ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَن خَافَ عَذَابَ ٱلأٓخِرَةِۚ﴾

هود 103. أي في ذلك موعظة وعبرة .

-البرهان والدليل، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمِن ءَايَٰتِهِۦ خَلقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ﴾ الروم 21. أي من براهينه وأدلته سبحانه وتعالى.

-وتأتي في اللغة بمعنى الجماعة ومنه قوله: خرج القوم بآياتهم: أي بجماعتهم [1]

تعريف الآية اصطلاحا: عرفها العلماء بأكثر من تعريف، منها:

" هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وعما بعدها" أو هي " جمل من القرآن ذات مبدأ ومقطع مندرجة في سورة."[2]

[1] ينظر: معجم علوم القرآن، ص 45.
[2] المرجع نفسه، ص 45

ولا يخفى أن هناك تناسبا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ فالآية قرآن معجز، وهي علامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، الذي جاء بها، وهي عبرة للمعتبرين، وهي دليل على ما يحمله مضمونها من أحكام وآداب وهداية وعلم.

د/ السورة

تعريفها لغة

هي المنزلة الرفيعة كما قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

وقال البعض: هي مشتقة من سور المدينة شبهت به لمكانتها وعلو شأنها وهي تحيط بالآيات، كما يحيط السور بالبيوت، قال ابن فارس: " السين والراء يدل على علو وارتفاع"[1]

فهي عموما تدل على العلو والارتفاع سواء كان حسيا أم معنويا.

اصطلاحا

عرفها العلماء بتعريفات عديدة نكتفي بذكر واحد منها: " هي طائفة من القرآن الكريم لها بداية ونهاية وأقلها ثلاث آيات "[2]. وأطول سورة هي البقرة وأصغرها سورة الكوثر، وقد اشتمل القرآن الكريم على 114 سورة، رجح كثير من العلماء أن ترتيبها توقيفي من عند الله سبحانه وتعالى كما اشرنا لذلك سابقا.

مما سبق يمكن القول أن بين مكونات النص القرآني انسجام وتماسك لا نجده في غيره، هذا الانسجام يضفي على النص القرآني جمالا منقطع النظير وهذا ما أشار إليه سيد

[1] ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ت عبد السلام هارون، دار الفكر، ص 115.
[2] معجم علوم القرآن، مرجع سابق، ص 95

قطب بقوله: " إن جمال القرآن الكريم ليس في كونه أجزاء و تفاريق، وإن كان للأجزاء جمال وسحر، ولكن جماله في كونه جملة موحدة يقوم على قاعدة خاصة فيها التناسق العجيب ما لا يدركه إلا من عرف قيمته وعانى قراءته ومدارسته ووقف على صميم النسق القِرآني الذي هو منبع التأثير والسحر"[1]

[1] سيد قطب التصوير الفني في القرآن ص10.

المحاضرة الخامسة: القصة القرآنية

لقد شغلت القصة القرآنية مساحة واسعة من كتاب الله عز وجل، فحيزها لا يقل عن الربع، أو أكثر قليلا لما لها من وقع خاص في القلوب، واستيلاء على المشاعر والأحاسيس، كما أنها سبيل لاستلهام العبر والعظات .

أ– القصة لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : " القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبعته"[1] ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص الآية: 11 أي تتبعي أثره .

ب–القصة اصطلاحا

عرفها العلماء تعريفات عديدة، فقد عرفها سيد قطب بأنها: " وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث، وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها، والأمثال التي يضربها ..إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات"[2].

وعرفها باحث آخر بقوله: " تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم وأعمالهم، وخاصة مع رسل الله إليهم مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة"[3].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج5، ص11.
[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004، ص 143.
[3] مريم ع القادر السباعي رسالة دكتوراه غ م جامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة ، 1404ه ص 35.

وهنا نلحظ اختلاف التعريفين لاختلاف الاعتبارات المنطلق منها، فالتعريف الأول انطلق من الغاية أو الغرض ، أما التعريف الثاني كان منطلقه أسلوب القصة القرآنية و خصائصها.

ج/الخصائص الفنية للقصة القرآنية

تختلف القصة القرآنية عن غيرها من القصص الأخرى بخصائص ومميزات نلخصها في النقاط الآتية:

1-**تنوع طريقة العرض**: فالقصة القرآنية تتنوع طرائقها لتنوع أغراضها، وتتنوع وسائلها البيانية لتنوع الطرائق؛ حيث أن بعض المشاهد تستحضر الأحداث دون تدخل الرواية، وأخرى تركز على عنوان المشهد والموضوع مثل قصة إبراهيم عليه السلام في مشهد بناء الكعبة .

2-**العرض التصويري**: أي إقامة العرض القصصي على الأسلوب التصويري، "والتصوير ألوان، يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات، وليست هذه الألوان منفصلة"[1] وهو يتخير لكل قصة ما يتناسب مع سياقها وموضعها .

3-**تنوع وسائل ربط المشاهد**: حيث نجد في القصة الواحدة بعض المشاهد متتابعة، وبعضها فيه فجوة تركت لخيال القارئ لملئها، فقصة أصحاب الكهف يتتابع المشهد الأول والثاني، إذ هما استمرار للحوار الدائر بينهم بشأن موقف قومهم من العقيدة، لكن توحيد فجوة المشهد الثاني والثالث، وهي الفاصل بين استقرار مكوثهم في الكهف ، ووقوفهم أمامه ترى الشمس تطلع وتغرب عليهم، وهذه الأحداث غير مؤثرة في تنامي الحدث القصصي [2].

4- **الواقعية في رواية الأحداث**: فأخبار وأحداث القصة القرآنية هي حقائق صادقة، وليست خيالية مثل القصة الأدبية، فمنها ما يتعلق بأخبار الأنبياء والرسل مع أقوامهم مثل

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص 190
[2] ينظر : فضل عباس، محاضرات في علوم القرآن، ص 313

موسى وعيسى وإبراهيم ونوح وغيرهم، ومنها ما كان من قبيل المعجزات مثل انفلاق البحر في قصة موسى عليه السلام وكلام النملة في قصة سليمان عليه السلام.

5- **الغاية السامية:** إن غاية القصة القرآنية هي أخذ العبرة وإتباع طريق الحق المستقيم، هذه الغاية تندرج ضمن الهدف الأسمى من نزول القرآن الكريم، وهي الهداية إلى الصراط المستقيم.

د/أهداف القصة القرآنية: للقصة القرآنية أهداف متنوعة وغايات سامية نذكر بعضها:

1- تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى﴿و كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود الآية:120

2- أخذ العبرة والموعظة من قصص السابقين،قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف الآية: 176

3- الدعوة إلى التوحيد وغرس العقيدة في النفوس قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر الآية:65 ، فالتوحيد مدار جميع الرسالات السماوية السابقة، وذكر قصصهم من أجل تبيان وحدة دعوتهم، وأن الله واحد لا شريك له، وهو الأحق بالعبادة دون سواه .

4- البعد التعليمي والأخلاقي حيث أن المسلم يتعلم عن طريق القدوة الحسنة الموجودة في القصص القرآني مكارم الأخلاق من صبر (إبراهيم وأيوب...)، وعفة (يوسف)، وتسامح (نبينا صلى الله عليه وسلم) ، كما يتعرف على النماذج السيئة ليتجنبها مثل: فرعون (الطغيان)، وإخوة يوسف (الغيرة والحسد)، وغيرهم من النماذج الأخرى.

المحاضرة السادسة:سياقات النص القرآني وفيها درسان:

الدرس الأول: السياق السببي: أسباب النزول

أ/السياق لغة

جاء في المعجم الوسيط: سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه [1] وفي اللسان : انساقت الإبل إذا تتابعت [2] فالسياق لغة يعني التتابع .

ب/السياق اصطلاحا

عرفه كثير من الباحثين والعلماء، لكننا سنكتفي بتعريف واحد فقط، وهو للباحث سعيد بن محمد الشهراني الذي عرفه بقوله: " ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق ولاحق به، أو حال المخاطِب والمخاطَب للغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه " [3] .

والملاحظ في هذا التعريف أن السياق منه ما هو داخلي كانتظام عناصر الجملة أو الآية، أو خارجي كأسباب أو مكان نزوله، وقد قسم علماء علوم القرآن سياقات النص القرآني إلى أنواع وهي : السياق السبي ويتعلق بأسباب النزول، والسياق المكاني ويتعلق بالمكي والمدني ، السياق التداولي ويتعلق بالقراءات القرآنية.هذه السياقات تعين على فهم النص القرآني، وسنبدأ بالسياق الأول، وهو السياق السببي: أسباب النزول

ج/تعريف أسباب النزول

قبل أن نعرف أسباب النزول لابد من تعريف مصطلح السبب أولا

---

[1] المعجم الوسيط، مرجع سابق ص 455.
[2] لسان العرب ج7، ص 304-305.
[3] السياق القرآني وأثره في المدرسة العقلية الحديثة ، دكتوراه غ م جامعة أم القرى 2006. ص 22.

*السبب لغة : جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : " وأما الحبل فالسبب " [1] ثم استعمل " لكل شيء يتوصل به إلى غيره " [2].

*السبب اصطلاحا:

هو ما يوصل إلى الشيء ولا يؤثر فيه، كالوقت للصلاة[3] فدخول الوقت سبب لوجوب الصلاة.

*أما سبب النزول فهو" ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال "[4]

شرح التعريف:

–ما نزل قرآن بشأنه : النازل قد يكون آية أو مجموعة من الآيات مثل الآيات العشر من سورة النور التي نزلت في حادثة الإفك من الآية 11إلى الآية 21 قال ابن كثير : " هذه الآيات العشر نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب والفرية التي غار الله لها، ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه "[5] وقد يكون النازل سورة كاملة كسورة المسد .

–وقت وقوعه : فقد تنزل الآيات أو السورة بعد الحادثة مباشرة، مثل الآيات الأولى من سورة المجادلة التي نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة حين ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، وذهبت تشتكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قد تتأخر الآيات لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى.

[1] معجم مقاييس اللغة، مصر سابق، ص 64.
[2] المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 211.
[3] المرجع السابق، ص 211-212.
[4] مباحث في علوم القرآن مناع القطان، ص 72.
[5] تفسير ابن كثير، ص 1316.

أما قولنا: "كحادثة": فقد تكون الحادثة مرتبطة بشخص معين، كشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، مثال ذلك ما وقع له حين إعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم وانشغاله بكبار قريش، فنزلت بدايات سورة عبس أو احد أزواجه (حادثة الإفك) أو الآيات أو السور التي تفضح المنافقين ، مثل سورة المنافقون .

وقولنا:" أو سؤال": وهو أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فيتنزل القرآن مبينا حكمه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة الآية: 1،وهو أوس بن الصامت.[1]

لكن هذا لا يعني أن كل آيات القرآن وسوره مرتبطة بأسباب نزول ، فمنه ما نزل ابتداء مثل الآيات التي تحدثت عن التوحيد والشرائع ومكارم الأخلاق،وفي ذلك قال الجعبري: " نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال " [2].

د/ فوائد معرفة أسباب النزول

لمعرفة أسباب فوائد جمة نذكر بعضها:

*معرفة الحكمة من التشريع، وأن هذا الدين جاء لرعاية مصلحة الأمة ودفع الضرر عنها، فتشريع كفارة الظهار في حادثة خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت جاء لصيانة الأسرة وحمايتها من التفكك.

*معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فهما صحيحا قال أبو الفتح القشيري: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز."[1]

[1] ينظر مباحث في علوم القرآن، ص 71
[2] السيوطي الإتقان ، ج1، ص71.

*تيسير الحفظ والفهم؛ لأن ربط الأسباب بالمسببات والحوادث بأشخاص معينين يثبّت المعلومة في الذهن، ويسهل استذكارها .

*معرفة من نزلت فيه الآية أو السورة بعينه؛ لأن فيه نفي للتهمة عن البريء إن كان الخطاب فيه ذم أو عقاب، أو إسناد الفضل لأهله إن كان الخطاب فيه مدح أو ثواب.

*-معرفة سبب النزول يعين على استخلاص بعض القيم التربوية والأخلاقية مثل: عدم التصريح بالأسماء، وما يتطلبه ذلك من ستر ، أو أساليب مخاطبة الله سبحانه وتعالى لنبيه أو عباده .

الدرس الثاني:السياق المكاني: المكي والمدني

أ/تعريف المكي والمدني

اختلف العلماء في تحديد معنى المكي والمدني، ولهم في ذلك مذاهب ثلاثة:

الأول : المكي هو ما نزل بمكة أو في مكان قريب منها مثل: عرفات، ومنى والحديبية سواء كان نزوله قبل الهجرة أو بعدها، والمدني ما نزل بالمدينة أم بمكان قريب منها كأحد وبدر سواء قبل الهجرة أم بعدها.

وهنا نلحظ أن المعوّل عليه في التحديد هو مكان النزول .

الثاني: المكي ما وقع خطابا لأهل مكة بغض النظر عن مكان نزوله (مكة أم المدينة) سواء قبل الهجرة أو بعدها، والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة بغض النظر عن زمان أو مكان نزوله.

والمعوّل عليه هنا في تحديد المعنى هم المخاطبون.

---

[1] دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص، 154.

الثالث: أن المكي ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه و سلم سواء في مكة، أو في مكان بعيد عنها، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء بالمدينة أو في مكان بعيد عنها.

وقد **رجح** أغلب الدارسين والباحثين في علوم القرآن المذهب الثالث مستدلين بالعديد من الأدلة منها:

-أنه ضابط وحاصر ومطرد، ثم يبدو أنه هو المقصود من قول الصحابة : نزل كذا من السورة بمكة، ونزل كذا من السور بالمدينة [1].

-ثم إن هذا المذهب هو الذي اعتمده كثير من الباحثين في علوم القرآن قديما وحديثا قال ابن عطية: " وكل ما نزل من القرآن بعد الهجرة فهو مدني سواء نزل بالمدينة، أو في سفر من الأسفار، أو بمكة ، وإنما يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة"[2] .

ب/ضوابط معرفة المكي والمدني.

وضع العلماء عدة ضوابط وعلامات يعرف بها المكي والمدني، هذه الضوابط لا تخرج عن ضربين عامين، سماعي وقياسي ؛ فالسماعي ما وصل إلينا سماعا بنزول السورة كذا أو الآية كذا في مكة أو المدينة، قبل الهجرة أو بعدها . وهذا الطريق يعتمد على الرواية، أما القياسي فهو مجموعة من الضوابط التي استخلصها العلماء لكل من المكي والمدني.

1/ ضوابط المكي

-كل سورة فيها "كلا" فهي مكية.

كل سورة فيها " يأيها الناس وليس فيها " يآيها الذين آمنوا "فهي مكية ماعدا سورة الحج.

-كل سورة فيها سجدة فهي مكية ماعدا سورة الحج.

[1] عبد الرزاق حسن أحمد ، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان، القاهرة ط1، 1999، مج1، ص 45.
[2] نقلا عن المرجع نفسه، ص 46.

-كل سورة افتتحت بحروف الهجاء فهي مكية ماعدا البقرة، وآل عمران، وفي الرعد خلاف.

-كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.

-كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة.

2/ ضوابط المدني

-كل سورة فيها حد أو فريضة فهي مدنية .

-كل سورة فيها أمر بالجهاد وتبيان أحكامه فهي مدنية.

-كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ماعدا العنكبوت

-كل سورة فيها " يآيها" الذين آمنوا " فهي مدنية .

المحاضرة السابعة: السياق التراتبي وفيه درسان:

الدرس الأول :أول وآخر ما نزل من القرآن.

بحث العلماء أول وآخر ما نزل على الإطلاق, وأول وآخر ما نزل في الربا والقتال ، والصلاة.. وغير ذلك ، ولا يسعنا المقام لبسط القول في كل هذه الأنواع، ولذا سنكتفي بالحديث عن أول وآخر ما نزل على الإطلاق

أقوال العلماء في أول وآخر ما نزل على الإطلاق

أ/ أول ما نزل من القرآن.

للعلماء في أول ما نزل من القرآن عدة أقوال سنكتفي بذكر ما صح منها، وهما قولان:

***القول الأول:**

إن أول ما نزل من القرآن مطلقا هو صدر سورة " العلق"؛ أي قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق، الآيات: 1-5 .وهذا القول يعتبر أصح الأقوال بإجماع العلماء.[1]

ودليل ذلك ما رواه الشيخان، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " أول سورة نزلت من القرآن : اقرأ باسم ربك الذي خلق "[2].

***القول الثاني**

أول ما نزل من القرآن إطلاقا سورة المدثر ، دليل ذلك ما رواه البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمان بن عوف أنه قال: " سألت جابر بن عبد الله، أي القرآن أنزل قبل ؟

[1] ينظر محمد سالم محسن، تاريخ القرآن ، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية، 1406هـ ، ع 15، ص 26.
[2] مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 77.

فقال : "يا أيها المدثر " ، فقلت أو " اقرأ باسم ربك" فقال: أحدثكم بما حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، زاد في رواية « فنوديت» فنظرت أمامي وخلفي ، وعن يميني وعن شمالي، ثم نظرت إلى السماء فإذا جبريل جالس على العرش بين السماء والأرض، فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة، فأمرتهم فدثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾. المدثر الآيات: 1-5

ويمكن الجمع بين الدليلين بأن أول ما نزل على الإطلاق هو قوله تعالى: " اقرأ" إلى" ما لم يعلم" وأول سورة نزلت كاملة، أو أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿ يَا أَيُّهَا المدثر﴾[1]

وهناك العديد من الآراء الأخرى، لكنها ضعيفة منها أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة ، وقول آخر قال: إن أول ما نزل هو البسملة وكلا الرأيين استندا إلى مجموعة من الأدلة التي ضعفها كثير من العلماء، ولهذا لم نوردها.

ب/ آخر ما نزل من القرآن

اختلف العلماء في آخر ما نزل من القرآن، فقال البعض أن آخر آية هي آية الكلالة، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب أنه قال:" آخر آية نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ النساء الآية: 176.وآخر سورة "براءة"، وقيل آخر آية نزلت آية الربا، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة الآية: 278. وروى مسلم عن ابن عباس، قال : آخر سورة نزلت﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [2].

[1] ينظر المرجع السابق، ص 30، ومباحث في علوم القرآن للقطان، ص 60.
*أي لا والد له ولا ولد .تفسير الجلالين ص79
[2] مناهل العرفان ص 84.

لكن أصح الأقوال وأرجحها أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى :﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة الآية: 281.

الدرس الثاني: الناسخ والمنسوخ

أ/تعريف النسخ لغة : هو النقل والإزالة، ومنه قولنا: نسخت الشمس الظل أي أزالته، ونسخت الكتاب إذا نقلته[1].

فالنسخ هو النقل والإزالة.

ب/ تعريفه اصطلاحا

عرفه العلماء تعريفات عديدة منها:

"رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه" [2]

شرح التعريف

-المراد بقولنا: " رفع" أي إبطال، وقولنا : (الحكم الشرعي) أي خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين .

-وقولنا: " بخطاب شرعي" الكتاب والسنة، وقولنا:" متراخ عنه" ما كان متصلا بالحكم كقوله تعالى:
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ﴾ البقرة الآية: 187.

[1] لسان العرب، مج3، ص 61.
[2] دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 404.

فإن قوله تعالى:(حتى يتبين) غير ناسخ لإباحة الأكل والشرب، وإنما هو بيان وتتمة للمعنى فلا يعتبر نسخا[1].

ج/ شروط النسخ: للنسخ عدة شروط نوجزها في النقاط الآتية:

-أن يكون المنسوخ حكما شرعيا

-أن يكون الحكم الناسخ خطاب شرعي متراخ عن الخطاب المنسوخ حكمه .

-أن لا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيد بوقت معين وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته، وهذا لا يعد نسخا.

-أن لا يمكن الجمع بين الحكم الناسخ والحكم المنسوخ ؛ أي وجود تعارض حقيقي.

د/حكم النسخ:النسخ جائز وعقلا شرعا بدليل قوله تعالى:
﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ البقرة الآية: 106.

هـ/أنواع النسخ

أولا : نسخ القرآن بالقرآن

ويندرج تحته عدة أنواع جزئية هي:

1نسخ الحكم دون التلاوة: مثاله قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَام مسكين﴾ البقرة الآية: 184. منسوخ بقوله تعالى:﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة 185. على مذهب من يقول بنسخ الآية الأولى .فالعمل بحكم الآية منسوخ – غير معمول به- لكن الآية موجودة في المصحف وتتلى كغيرها.

[1] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2-نسخ التلاوة دون الحكم : مثاله ما قال عمر بن الخطاب: "كان فيما أنزل من القرآن أن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة" رواه مسلم، فالآية غير موجودة في المصحف الحالي، لكن الحكم بها مزال قائما.

3- نسخ التلاوة والحكم معا مثاله: ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: "كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، وقد توفي رسول الله وهي مما يقرأ من القرآن، فجملة (عشر رضعات معلومات يحرمن) كانت، ثم نسخت تلاوتها وحكمها"[1].

ثانيا: نسخ القرآن بالسنة.

اختلف العلماء في نسخ آيات القرآن الكريم بالسنة النبوية، فالبعض يرى أن القرآن لا ينسخ إلا بالقرآن، وقد قال به أحمد بن حنبل ، أما المالكية والحنفية فقالوا بجواز نسخ القرآن بالسنة مستدلين بمجموعة من الأدلة، مثال ذلك قوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة الآية: 180. نسخت بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا وصية لوارث)[2].

ثالثا: نسخ السنة بالقرآن

وأجازه جمهور العلماء مثاله : التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة ،كان ثابتا بالسنة وقد نسخه قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ البقرة الآية: 144.

[1] المرجع السابق، ص 314
[2] ينظر محاضرات في علوم القرآن فضل عباس، ص 213.

رابعا:نسخ السنة بالسنة

ويندرج تحته أربعة أنواع جزئية :

1/ نسخ المتواتر بالمتواتر

2/نسخ الآحاد بالآحاد

3/نسخ الآحاد بالمتواتر

وهذه كلها جائزة عند الجمهور، أما **نسخ المتواتر بالآحاد** فهو غير جائز عندهم.

و– حكمة النسخ: للنسخ حكم كثيرة نذكر بعضا منها:

1–رحمة الله بالأمة ومراعاة مصلحتها

2 –تطور التشريع إلى مرتبة الكمال مثال ذلك: البدء بتحريم الخمر أثناء الصلاة، ثم حرمت مطلقا.

3–اختبار المكلفين، حيث أن تغيير الأحكام امتحان لهم .

4–إرادة الخير للأمة لأن الناسخ إن كان فيه مشقة ففيه زيادة الأجر ، وإن كان تخفيفا ففيه تيسير على الأمة.

المحاضرة الثامنة: السياق التداولي: القراءات القرآنية.

يكتسي موضوع القراءات القرآنية أهمية بالغة لارتباطه بالقرآن الكريم من جهة، ولعلاقته المباشرة باللغة العربية، فقد أسهمت القراءات القرآنية في حفظ الكثير من لغات العرب باعتبار أن القرآن الكريم – موضوع هذه القراءات – أنزل على سبعة أحرف، ومن ثمة كانت القراءات مصدرا مهما لعلماء اللغة، لاسيما ما تعلق بالشواهد النحوية والصرفية، فما هي القراءات القرآنية؟ وما هي أقسامها؟

أولا: تعريف القراءات القرآنية.

أ– لغة

القراءات ج م قراءة ، وهي مأخوذة من الفعل قرأ بمعنى: جمع ، وقرأت الشيء قرآنا: جمعته، وضممت بعضه إلى بعض، وسمي القرآن قرآنا؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾القيامة. الآية: 17 أي جمعه وقراءته[1].

ب–اصطلاحا :

يخلط كثير من الدارسين بين علم القراءات والقراءات، ولا يمكن معرفة علم القراءات إلا إذا عرفنا القراءة.

والقراءة في الاصطلاح العلمي هي: " مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهبا يخالف به غيره "[2] . أي طريقة أحد الأئمة القراء في قراءة كلمات القرآن بشكل يخالف به غيره، وهي ثابتة بأسانيدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما علم القراءات اصطلاحا فهو" علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة" [1]

[1] ينظر لسان العرب ، دار المعارف، ت ع الله علي الكبير وآخرين، دط، دت، ص 3563
[2] مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 153.

والملاحظ أن ابن الجزري ركــز على عدة نقاط هــي: السماع والمشافهة والنقل؛ أي نسبة (عزو) ما تلاقّاه إلى شيوخه الذين أخذ عنهم وصولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ثانيا:موضوع علم القراءات : من خلال التعريف السابق لعلم القراءات نستنتج أن موضوع القراءات هو كلمات القرآن الكريم من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها

ثالثا:أقسام القراءات القرآنية: قسم العلماء القراءات أقساما عديدة، لكن اتفق المتأخرون منهم على تقسيمها إلى قسمين اثنين هما: القراءات الصحيحة والشـــاذّة.

أ/ القراءة الصحيحة

قال ابن الجري متحدثا عن أركان القراءة الصحيحة: "كل قراءة وافقت العربية، ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف "[2] .

انطلاقا من هذا القول نستخلص **أركان القراءة الصحيحة** وهي:

-موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا. والموافقة نوعان: محققة مثل: ملك دون ألف، ومحتملة مثل: مالك [3] .

-موافقة اللغة العربية، ولو بوجه من الوجوه أي لا تخرج القراءة عن كلام العرب كلية.

---

[1] ابن الجزري، منجد المقرئين ةمرشد الطالبين، ت ناصر محمدي بن محمد جهاد، در الآفاق، القاهرة، ط1، 2010، ص 39.
[2] نقلا عن عبد الحليم قابة ، القراءت القرآنية ، تاريخها ، ثوبتها، حجيتها، وأحكامها ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1999، ص 156.
[3] المرجع نفسه، ص 158.

-صحة السند،وقد وقع خلاف بين العلماء في كون صحة السند يتحقق بالتواتر من عدمه، لكن جمهور العلماء رأى أن التواتر شرط ضروري لصحة السند .

ب/ القراءة الشاذة : وهي كل قراءة فقدت أحـد أركان القراءة المتواترة والصحيحة، وهي تشمل القراءة الضعيفة والموضوعة والباطلة والمنكرة ، والمدرجة والأحادية والقراءة التفسيرية؛ فكلها شاذة وكـلها خارجة عن القراءات المعتبرة التي يقرأ بها اليوم[1] . ولا يسعنا المقام أن نفصل فيها القول.

رابعا: فوائد الاختلاف في القراءات الصحيحة.

1-الدلالة على صيانة كتاب الله عز وجل على الرغم من كونه على عدة أوجه.

2-التخفيف والتيسير على الأمة، إذ أن كل أمة تقرأ بما يناسبها .

3-إعجاز القرآن في إيجازه حيث تدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرر اللفظ كقراءة ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة الآية: 6.بالنصب والخفض، ففي قراءة النصب (وأرجلَكم)بيان لحكم غسل الرجل، حيث يكون العطف على معمول فعل الغسل ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾. وفي قراءة الجر (وأرجلِكم) بيان لحكم المسح على الخفين عند وجود ما يقتضيه، حيث يكون العطف على معمول فعل المسح ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾فدلت الآية بهاتين القراءتين على حكمين متغايرين، ولو لم يكن كذلك لاحتاج كل حكم إلى آية خاصة لبيانه[2].

خامسا: أسباب تعدد القراءات وفوائده

يعود اختلاف القراءات إما إلى اختلاف اللغات وتعدد اللهجات، أو إلى أسباب أخرى ، مثال ما كان مرجعه إلى اختلاف اللهجات قراءة أبي أيوب السجستاني لقوله تعالى:

[1] ينظر معجم علوم القرآن، مرجع سابق، ص 116.
[2] ينظر: فهد بن عبد الرحمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص 367

﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ الفاتحة الآية: 07 . بإبدال الألف همزة فرار من التقاء الساكنين. وقوله تعالى ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ سبأ الآية: 18. قرأ نافع وأبو عمرو، وأبو جعفر بألف بعد السين من غير همز ، و هي لغة الحجاز، وهذه الألف بدل من الهمزة، وهو مسموع على غير قياس ، وقرأ الباقون على الأصل بالهمز ة[1].

ومثال ما كان لأسباب أخرى قوله تعالى:﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ يسين الآية: 35. فقد قرأ أبو بكر، وحمزة، و الكسائي وخلف (عملَت) بغير هاء موافقة لمصاحفهم، والباقون بالهاء موافقة لمصاحفهم.[2]

سادسا:الحكمة من تعدد القراءات : لتعدد القراءات حكم متعددة نذكر منها:

1-الدلالة على صيانة كتاب الله عز و جل رغم كونه على أوجه عديدة، وفي هذا وجه من وجوه الإعجاز .

2- التخفيف والتيسير على الأمة إذ أن كل أمة تقرأ بما يناسبها، و لو قيدت بقراءة معينة لكان في ذلك مشقة، والإسلام دين يسر .

وفيما يلي جدول للأئمة القراء ورواتهم

الرقم	القارئ	راوياه
1	الإمام نافع (70-169هـ)	1قالون(120-220هـ) 2ورش(110-197هـ)
2	ابن كثير(45-120هـ)	1البزي(170-245هـ) 2قنبل (195هـ-291هـ)
3	أبوعمرو البصري(78-154هـ)	1الدوري (246هـ) 2 السوسي (261هـ)

[1] ينظرمحاضرات في علوم القرآن، فضل عباس، ص 242.
[2] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

4	عبد الله بن عامر(8-118هـ)	1 هشام بن عمار(153-245) 2ابن ذكوان(173-242هـ)
5	عاصم الكوفي (127هـ)	1شعبة(95هـ -193هـ) 2حفص (90-180هـ)
6	حمزة الكوفي (80-156هـ)	1-خلف (150-229هـ) 2خلاد(119-220هـ)
7	الكسائي (119-189هـ)	1الليث (240هـ) 2 حفص الدوري(246هـ)
8	أبوجعفر المدني (130هـ)	1عيسى بن وردان(160هـ) 2 سليمان (170هـ)
9	يعقوب البصري (117-205هـ)	1 رويس (238هـ) 2 روح بن عبد المؤمن (234هـ)
10	خلف العاشر (150-229هـ)	1 إسحاق (286هـ) 2إدريس (189-292هـ)

المحاضرة التاسعة: مناهج التفسير ونقدها

وسنتطرق فيه إلى عدة مباحث

المبحث الأول: معنى التفسير والتأويل

1/ التفسير

أ/ التفسير لغة

اختلـف علماء اللغـة في أصل لفظة تفسير، فقال البعض هي على وزن تفعيل من (الفسر) بمعنى الإبانة، وكشف المراد من اللفظ المشكل، والفَسر كشف المغطى[1]. وقيل: إن أصله في اللغة مأخوذ من التفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها ومعناها، وسبب نزولها.[2]

ويرى ابن منظور أن الفسرَ هو: "البيان، فسر الشيء يفسره بالكسرة ويفسره بالضم فسرا، وفسر: أبانه، والتفسير مثله" [3]

وعموما أصل مادة التفسير تعني: الوضوح والبيان.

ب/ التفسير اصطلاحا

التفسير في الاصطلاح هو: علم يُفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكَمه"[4]

من خلال هذا التعريف نلحظ أن التفسير علم كغيره من العلوم الأخرى يعتمد على منهج دقيق وآليات .

ج– موضوعه: كتاب الله عز وجل المنزل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ أي القرآن

د– هدفه وغايته: تبيان وتوضيح معاني القرآن واستنباط أحكامه وحكمه.

ولما كان موضوع التفسير هو كتاب الله عز وجل جعل البعض يخلط بينه وبين التأويل، فما هو التأويل؟ وهل هناك فرق بينه وبين علم التفسير والشرح؟

---

[1] ينظر تهذيب اللغة للأزهري ، ج12، ص 407.
[2] ينظر الزركشي، البرهان ج2، ص 147.
[3] لسان العرب ، ص 3412
[4] دراسات في علوم القرآن مرجع سابق ص 164

2- التأويل

أ- التأويل لغة

جاء في لسان العرب: "أول الكلام وتأوله ودبره وقدره وأوله وتأوله: فسره ، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يونس. الآية: 39 أي لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه"[1]. ويقال: آل الأمر إلى كذا؛ أي عاد ورجع إليه، وتأويل الكلام؛ أي إرجاعه إلى ما يحتمل من معان .

ب -التأويل في الاصطلاح

إن المتأمل في تعريفات المتقدمين والمتأخرين للتأويل يلحظ اختلافا بينهم، ولهذا آثرنا أن نورد كل تعريف على حدة

***التأويل عند المتقدمين:** " هو تفسير الكلام وبيان معناه، ومنه قول ابن عباس عن القرآن : أنا ممن يعلم تأويله، أي : تفسيره" [2]. وبهذا يكون التفسير والتأويل بمعنى واحد.

* **التأويل عند المتأخرين:** هو" صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به"[3]

هذا يعني أن : اللجوء للتأويل يكون عندما يحتمل اللفظ أكثر من معنى، والعدول من معنى إلى معنى آخر يكون بناء على قوة الدليل .

ج- الفرق بين التأويل والتفسير

فرق العلماء المعاصرون بين التفسير والتأويل وهذه أبرز الفروق :

---

[1] لسان العرب ،-ص 172.
[2] معجم علوم القرآن، ص 54.
[3] مباحث في علوم القرآن مناع القطان ص 297

1/ التفسير أعم وأن التأويل أخص لسببين:

– إن التفسير بيان غريب الألفاظ، وبيان لفظها يُستطاع بها فهم نص متضمن لها، أما التأويل فهو تبيان للجمل ومعانيها، وعليه فهو يحتاج إلى دقة.

– التأويل يغلب في الكتب الإلهية، ولهذا احتاج إلى روية، وأما التفسير فيستعمل فيها وفي غيرها .

2/ التفسير يختص بالرواية والتأويل يختص بالدراية، والرواية لا تحتاج إلى إعمال الفكر

المبحث الثاني: شروط المفسر (العلمية والذاتية)

لما كان موضوع التفسير هو كتاب الله عز وجل، فقد وضع العلماء شروطا دقيقة للمفسر تؤهله لهذه المهمة الخطيرة، هذه الشروط نوجزها في:

–صحة الاعتقاد، فمن انحرفت عقيدته لا يؤتمن جانبه، فهو يحرف النصوص ويفسرها خدمة لمعتقده.

–التجرد عن الهوى، فقد يدفع الهوى لنصرة مذهبه، فيغري الناس بلحن القول وسحر البيان، مثل حال القدرية والمعتزلة وغيرهم.

–العلم بأصول التفسير و منطلقاته، ويجب أن يبدأ أولا بتفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة فإن لم يجد عاد لأقوال الصحابة، ثم أقوال التابعين[1]

– العلم باللغة العربية، والتبحر في علومها ، قال مجاهد : " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب "[2].

[1] ينظر محاضرات في علوم القرآن مرجع سابق، ص 301.
[2] المرجع نفسه ص 302.

-الإلمام بالعلوم المتعلقة بالقرآن من قراءات، وتوحيد وسيرة وأصول؛ لأن ذلك يعين على فهم النصوص القرآنية ووضعها في سياقها.

المبحث الثالث: تاريخ التفسير

أولا: في عهد الصحابة

كان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون القرآن؛ لأنه أنزل بلغتهم، وإذا لم يفهموا بعض دقائقه عادوا إلى القرآن، فما أجمل في موضع فصل في موضع آخر، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ المائدة الآية: 1 فسره قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ المائدة الآية:03، أو كانوا يرجعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيفسر لهم ما غمُض عنهم، مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر. الآية:1، قال صلى الله عليه وسلم: (الكوثر نهر أعطَانيه ربي في الجنة)[1]

ثانيا:التفسير في عهد التابعين

اشتهر بعض التابعين بتفسير القرآن معتمدين على ما رزقهم الله من اجتهاد ونظر، وقد نشأت مدارس متعددة في التفسير؛ ففي مكة نشأت مدرسة ابن عباس، ومن أشهر تلاميذه: سعيد بن جبير،ومجاهد وعكرمة.

وفي المدينة اشتهر أبي بن كعب بالتفسير، ومن أشهر تلاميذه : أبو العالية، وزيد بن أسلم .

وفي العراق مدرسة ابن مسعود التي عدت نواة مدرسة التفسير بالرأي.

[1] المرجع نفسه ، ص307

ثالثا:التفسير في عصر التدوين

بدأ التدوين أواخر عصر بني أمية، وقد تركز اهتمامهم حينها على الحديث، وكان التفسير بابا من أبوابه، ومن أشهر المفسرين، يزيد بن هارون و شعبة بن الحجاج ، وسفيان بن عيينة وغيرهم، ثم جاء بعدهم من أفرد التفسير بالتأليف ، فأصبح علما قائما بذاته، ففسر القرآن حسب تفسير المصحف، مثل تفسير ابن ماجة(273هـ) وابن جرير الطبري (310هـ) وجلهم اعتمدوا على التفسير بالرواية.[1]وبعد اتساع العلوم ظهر التفسير بالدراية، ومن أشهر التفاسير تفسير القرطبي والزمخشري والرازي وغيرهم.

المحاضرة العاشرة:أنواع التفسير

قسم علماء علوم القرآن و التفسير التفسيرَ إلى أنواع عدة نوجز الحديث عنها فيما يأتي:

أولا التفسير بالمأثور

أ– المأثور في اللغة: يقصد به ما أثر عن السلف، وبقي أثرا من آثارهم .

[1] ينظر المرجع السابق، ص 312.

ب–التفسير بالمأثور اصطلاحا: عُرف بتعريفات عديدة لكنها مختلفة في الشكل متفقة في المضمون، ولهذا اخترنا واحدا منها فقط هو: " بيان معاني القرآن الكريم بما ورد في السنة، أو روي عن الصحابة أو التابعين"[1].

فهو يعتمد على صحيح المنقول، ولا مجال فيه للاجتهاد دون دليل، ولذلك عُد أفضل أنواع التفسير وأعلاها منزلة.

ج– خصائص التفسير بالمأثور: يتميز هذا النوع من التفسير بمجموعة من الخصائص أهمها:

1/ مبني على التدرج، فالمفسر يبحث أولا عن تفسير النص القرآني بنص آخر؛ لأن هناك آيات فسر بعضها البعض، فما أُجمل في مكان فُصل في موضع آخر، وما أطلق في مكان قيد في موضع آخر، مثال ذلك قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة الآية: 37، بينها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف الآية: 123.[2] و إن لم يجد في القرآن بحث في السنة، فقد فسر النبي بعض ما أشكل على الصحابة، مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة: (السائحون هم الصائمون)، وعن عُدي بن حاتم قال صلى الله عليه وسلم: (إن المغضوب عليهم هم اليهود والنصارى، وإن الضالين هم : النصارى)[3].

إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر كل القرآن لعدم و وجود بواعث ودواعي تبعث على ذلك، حيث كان جل الصحابة يفهمون القرآن ويتدبرونه.

2–ذكر الروايات والأخبار والترجيح بينها، وقد يذكر المفسر الرواية دون ترجيح.

3– ذكر الرواية مسندة، وقد يحذف الإسناد

[1] معجم علوم القرآن، مرجع سابق، ص 60.
[2] التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ص 32
[3] ينظر: غانم قدوري، محاضرات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 16

أعلامه: من أشهر أعلام هذا النوع من التفسير نجد: محمد بن جرير الطبري بتفسيره جامع البيان في تفسير القرآن، وكذا أبو الليث السمرقندي وتفسيره الموسوم ببحر العلوم، وكذا تفسير ابن المعروف بتفسير القرآن العظيم، وتفسير جلال الدين السيوطي الموسوم بالدر المنثور في التفسير بالماثور

ومن أمثلة التفسير بالمأثور تفسير ابن كثير لقوله تعالى:﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال: " والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء حيث قال: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ النساء الآية: 69"[1]

نقد التفسير بالمأثور

على الرغم أن هذا النوع من التفسير يُعد أفضل أنواع التفسير وأجلها باعتبار أن المفسر يعتمد على الروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين إلا أنه لم يسلم من بعض النقائص والهنات مثل: الوقوع في الروايات الضعيفة والموضوعة، وأكثر من ذلك الإسرائيليات التي تتضمن مخالفة ما يثبت في الإسلام [2] ولهذا وجب الاعتماد على العلماء الربانين المشهود لهم بالعلم والورع، والتأكد من صحة الأحاديث والراويات في كتب الصحاح خشية الوقوع فيما لا يحمد عقباه لأن موضوع الدرس هو كتاب رب العالمين.

ثانيا: التفسير بالرأي (الدراية)

تعريفه

التفسير بالرأي هو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها واستعانته في ذلك بالشعر

[1] تفسير ابن كثير، ص73.
[2] ينظر محاضرات في علوم القرآن غانم قدوري، مرجع سابق، ص 190.

الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الآداب التي يحتاج المفسر إليها.[1] وهو نوعان:

أ/ **تفسير بالرأي المحمود**، وهو الذي يعتمد أصحابه في تفسيرهم على القرآن والسنة .

حكمه: أجاز أغلب العلماء هذا النوع من التفسير بشروط مثل: التجرد من الهوى، وعدم مخالفة ما صح في الآثار الصحيحة ...[2] وغيرها.

ب/ **تفسير بالرأي المذموم**: وهو التفسير بمجرد الرأي والهوى. [3]

وأكثر من فسر القرآن وفق هذا النوع هم أهل البدع والأهواء، ففسروا القرآن وفق ما يخدم مذاهبهم ومعتقداتهم.

حكمه: أجمع العلماء على تحريم هذا النوع (التفسير بالرأي المذموم) وعدم جوازه، وفي ذلك يقول ابن تيمية:" فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام" والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[4].

أعلام التفسير بالرأي

من أشهر أعلام التفسير بالرأي الفخر الرازي المعروف بـ "مفاتيح الغيب"، وقد ركز فيه على بيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، كما اهتم فيه بالعلوم الرياضية والفلسفة مبينا موقفه من المعتزلة، وهو يمثل منهج الأشاعرة. وكذا تفسير البيضاوي المسمى بـ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" دون أن ننسى تفسير" الكشاف" للزمخشري، وهو يمثل منهج المعتزلة.

نقد التفسير بالرأي

[1] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون مكتبة وهبة، القاهرة، دط دت، ص 183
[2] لمزيد من الإطلاع يرجع إلى البرهان في علوم القرآن ج2، ص 43
[3] دراسات في علوم القرآن،ص 17.
[4] ابن حبان ، الثقات، دار الكتب العلمية، دط، دت، ج 08 ، 368.

على الرغم من أهمية هذا النوع من التفسير (الرأي المحمود) لاسيما تفسير الآيات التي لم يثبت تفسيرها بالمنقول بناء على الاجتهاد العقلي المبني على الحجج والبراهين، إلا أن بعض المفسرين تعسفوا في فهم بعض النصوص القرآنية فحملوها ما لا تحتمل من معان فدخلت تفاسيرهم في التفسير بالرأي المذموم.

المحاضرة الحادية عشر: التفسير اللغوي

عرف العلماء التفسير اللغوي بتعريفات عديدة اخترنا أدقها وأشملها وهو: " بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب" [1]

شرح التعريف

[1] مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، دط ، دت ص 38.

-بيان معاني القرآن: ويشمل كل المصادر التي يعتمد عليها في بيان القرآن الكريم وتفسيره كالقرآن والسنة، وأسباب النزول، والمكي والمدني وغيرها.

أما الشق الثاني من التعريف : "بما ورد في لغة العرب" فهو قيد بين نوع البيان الذي فسر به القرآن، وهو لغة العرب، وبذلك تخرج بقية أنواع البيان الأخرى كالعلمي والطبي، والعددي وغيرها.

والمقصود بما ورد في لغة العرب: ألفاظها وأساليبها التي نزل بها القرآن [1]

خصائصه: يتميز التفسير اللغوي بعدة خصائص نوجزها في النقاط الآتية:

-كثرة مباحث الصرف والاشتقاق:

مثال ذلك تفسير الأخفش لقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ البقرة الآية: 225. قال: " تقول: لغوت في اليمين، فأنا ألغو لغوا، ومن قال هو يمحى قال هو يلغى لغو ومحوا، وقد سمعنا ذلك من العرب تقول: لغيت بسام فلان، فأنا ألغا به أي أذكره"[2].

-كثرة المباحث النحوية:

فقد يكثرون من التعليل النحوي، مثال ذلك تفسير أبي عبيدة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ﴾ آل عمران الآية: 180. انتصب ولم تعمل (هو)فيه، وكذلك ما وقفت فيه، فلم يتم إلا بخبر؛ نحو: ما ظننت زيد هو خيرا منك، وإنما نصبت خيرا؛ لأنك تقول: ما ظننت زيدا، ثم

[1] المرجع نفسه ص 39
[2] المرجع نفسه، ص 128

تسكت، وتقول: رأيت زيدا فيتم الكلام ، فلذلك قلت: هو خير منك، فرفعت ، وقد يجوز هذا في النصب."[1]

-كثرة الاستشهاد بلغة العرب:

سواء كانت هذه الشواهد شعرية، أم نثرية مثال ذلك قول ابن قتيبة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ البقرة الآية: 235. أي: نكاحا؛ لأن النكاح يكون سرا، و لا يظهر ، فاستعير له السر، قال رؤبة:

فعف عن أسرارها ما بعد العَسق "[2]

-بيان الأساليب العربية الواردة في القرآن: اعتنى المفسرون اللغويون ببيان الأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم من حذف وذكر، وإضمار، وتقديم/ مثال ذلك قول الأخفش في معرض تفسيره لقوله تعالى:﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف الآية:2. قال: " وقال في أول هذه السورة: كتاب أنزل إليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه، هكذا تأويلها على التقديم والتأخير"[3] .

وقد اكتفينا بذكر أبرز الخصائص، وهناك خصائص أخرى لاتسع المقام لذكرها.

أعلامه: هناك الكثير من المفسرين الذين تبنوا المنهج اللغوي في تفاسيرهم نذكر منهم:

أبوحيان الأندلسي في تفسيره "البحر المحيط "، والفراء في تفسيره : "معاني القرآن"، والزجاج في تفسيره الموسوم بـ "معاني القرآن وإعرابه"، يقوم منهج هذا الأخير على ذكر الآية، ثم اختيار الألفاظ منها ليحللها تحليلا لغويا؛ فيذكر أصل الكلمة، والمعنى الذي تدل عليه،

[1] المرجع السابق، ص 130
[2] المرجع نفسه، ص 133.
[3] المرجع نفسه، ص 134.

ويستشهد بما يؤيد رأيه من كلام العرب، وقد يستطرد في شرح الأمثلة التي يستشهد بها ،ثم يعود لإعراب الآية إن كان فيها ما يحتاج إلى إعراب.[1]

هذا نموذج أوردناه لإبراز منهج التفسير اللغوي، والتفاسير اللغوية لا تكاد تختلف عن بعضها البعض ماعدا في بعض الجزئيات.

نقد التفاسير اللغوية

لاشك أن الاهتمام بالجانب اللغوي أمر بالغ الأهمية؛ لأن القرآن أنزل بلسان عربي مبين، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، لكن الإفراط في تناول المسائل اللغوية يصرف المتلقي عن الهدف الأسمى من التفسير، وهو تدبر كلام الله عز وجل، والمساعدة في فهمه، ولذا كان الأنسب إيراد المسائل اللغوية بقدر الحاجة دون إسهاب حتى لا يخرج التفسير عن مقصده.

المحاضرة الثانية عشر: التفسير البياني والأدبي

تعريفه: هو " التفسير القرآني المعتمد على إبراز بلاغة القرآن الكريم في صوره البيانية، وجوانبه الفنية، ودلائله الإعجازية، وأسرار نظمه، وما فيه من نكت بلاغية، ومعاني إعجازية، ولغوية."[2]

[1] غانم قدور الحمد ، محاضرات في علوم القرآن ص 194.
[2] معجم علوم القرآن، مرجع سابق، ص 63

وقد كان هذا المنهج معروفا منذ القديم عند كثير من المفسرين والبلاغيين، مثل: الزمخشري، في تفسيره "الكشاف"، والنسفي ، في تفسيره: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، وعبد القاهر الجرجاني في معرض تفسيره لبعض الآيات في كتابيه: "أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز"،إلا أن عائشة عبد الرحمان، المعروفة ب "بنت الشاطئ" حاولت تطويره متأسية في ذلك بزوجها وأستاذها أمين الخولي ، وقد أعطته تعريفا جديدا وهو" استقراء الألفاظ القرآني في كل مواضع وروده؛ للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على نظائرها في الكتاب المحكم "[1].

وهنا نلحظ أنه تعدى الجانب البلاغي؛ ليشمل الجوانب الأسلوبية ، والتعبيرية، وهو ما جعل البعض يطلقون عليه اسم " الأدبي" بدلا من البياني؛ لكونه أعم وأشمل.

خصائصه

تحدثت عائشة عبد الرحمان في مقدمة تفسيرها:" التفسير البياني للقرآن الكريم" عن خصائص التفسير البياني والأدبي للقرآن الكريم، وسنحاول تلخيصها في النقاط الآتية:

1/ التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام، وذلك بتقصي جمع كل ما في القرآن من سور، وآيات في الموضوع المدروس.

2/ فهم ما حول النص بحيث ترتب الآيات فيه على حسب نزولها، وهذا من أجل معرفة ظروف الزمان والمكان، كما يستعان بالمرويات، وأسباب النزول؛ لأنها تعين على فهم الآية أو السورة .

3/ التركيز على دلالات الألفاظ، وبالأخص الدلالة اللغوية، ومختلف استعمالاتها الحسية، والمجازية ، ثم الانتقال للملح و التوظيفات القرآنية، وباستقراء كل ما في القرآن من صيغ الألفاظ، وفهم وتدبر سياقاتها في الآية والسورة، وسياقاتها العامة في القرآن كله.

[1] ينظر:عائشة عبد الرحمان التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط7، دت، ص10- 11

4/ فهم أسرار التعبير، وهذا يحتكم فيه إلى سياق النص في القرآن، والالتزام بما يحمله نصا وروحا، ويعرض عليه أقوال المفسرين، ثم قبول ما يقبله النص مع تحاشي الإسرائيليات[1]

أعلامه

اهتم كثير من الدارسين والبلاغيين – قديما وحديثا- بهذا النوع من التفسير، فمن التفاسير القديمة نجد "الكشاف" للزمخشري، وتفسير "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للنسفي، و هؤلاء وظفوا علوم البلاغة- بوجه خاص- لتفسير النصوص القرآنية، ثم طُور هذا المنهج على يد بعض الدارسين المعاصرين، مثل: أمين الخولي الذي دعا في كتابه: (مناهج التجديد في الأدب والبلاغة والتفسير والنحو) إلى تبني المنهج الأدبي في تفسير القرآن الكريم, وتعد عائشة عبد الرحمان أبرز المتحمسين لتبني هذا المنهج الذي دعا إليه الخولي، وقد طبقته في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم)، وكذا محمد عبده في كتابه: (تفسير القرآن الحكيم)، دون أن ننسى تفسير (التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن عاشور.

نقد هذا المنهج

لقد حاولت التفاسير البيانية تحرير البلاغة العربية من المعيارية، والنزوع نحو إلى الوصفية، وتفسير القرآن الكريم في ضوء خصائصه الإعجازية، والنظمية، والتعبيرية،محاولة جعل النص القرآني سيدا على قواعد البلاغة[2].ولاشك أن هذا أمر محمود، لكن لا يجب إغفال المقصد الأسمى من تفسير القرآن، وتناسي الجوانب الأخرى، مثل الأحكام الفقهية، والتشريعية، وغيره؛ لأن القرآن كتاب هداية و تأمل.

[1] لمزيد من التوسع والإطلاع ينظر عائشة عبد الرحمان ، التفسير البياني للقرآن الكريم.
[2] ينظر يوسف ولد النبية، ملامح تجديد البلاغة في مدرسة التفسير البياني، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة جامعة الأغواط ، مج4، ع1، 2019، ص 208.

المحاضرة الثالثة عشر: الإعجاز القرآني

أ- تعريف الإعجاز لغة

الإعجاز لغة هو الفوت والسبق ،كما جاء في لسان العرب:" يقال: أعجزت فلانا إذا ألفيته عاجزا ....

ويقال عجز يعجز عن الأمر إذا عجز عنه."[1]

[1] لسان العرب، ص 2817.

فمعنى العجز في اللغة هو الضعف، وعدم القدرة .

ب–الإعجاز اصطلاحا

عرفه فضل حسن عباس بقوله: " تأييد الله مدعي النبوة، بما يؤيد دعواه ليصدقه المرسل إليهم"[1]

فقد أيد موسى عليه السلام بالعصا، وأيد عيسى بروح القُدُس، وأيد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم.

ج– شروط المعجزة: وضع العلماء للمعجزة عدة شروط نلخصها فيما يأتي:

–أن تكون المعجزة آية من آيات الله، وقد تكون قولا كالقرآن، أو فعلا، كفلق البحر بسيدنا موسى عليه السلام.

–أن تكون أمرا خارقا للعادة؛ أي خارجا عما ألفه الناس.

– أن تكون هذه المعجزة ظهرت على يد نبي من أنبيائه .

– أن توافق ما ادعاه النبي، فلو قال معجزتي إحياء الموتى، ثم نطق على يديه حجر لم تكن معجزة.

–أن لا يكون هذا الأمر مكذبا لصاحبه، فلو قال معجزتي إنطاق الجبل، ثم نطق الجبل قائلا: أنت كاذب لم تكن معجزة.

–أن تكون ا لمعجزة بعد ادعاء النبوة [2] والإعجاز أنواع :

ا1– لإعجاز اللغوي والبياني

[1] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، ص20

[2] المرجع السابق، ص 20-21.

عرفه العلماء تعريفات مختلفة وباعتبارات متعددة فالبعض تطرق إلى الأصوات والبعض ركز على التراكيب وآخرون على التصوير هذا التفصيل يصعب استحضاره هنا لضيق، ولهذا سنتطرق إليه على سبيل الإجمال

تعريفه هو: " بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم من جهة اللغة العربية، في فصاحة الألفاظ، وبلاغة المعاني، وإيجاز اللفظ، ودقة المعنى، وروعة النظم وجمال الجرس وغير ذلك"[1].

هذا النوع لا تخلوا منه سورة من القرآن، ولم ينكره أحد من العلماء؛ فهم مجمعون على عذوبة أساليب القرآن وتفردها،وأهم خصائص الأسلوب القرآني هي:

-القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى:

وهذه خاصية لن تتحقق لأحد من الكتاب؛ فمن ادخر لفظه أخل بالمعنى ، ولم يوفه حقه، ومن أعطى حق المعنى أطال الكلام، لكن القرآن جمع بينهما، فإذا تأملته وجدت بيانا على قدر حاجة النفسي يؤدي لك من كل معنى صورة وافية بأوجز لفظ وأنقاه .

-خطاب العامة والخاصة:

وهاتان أيضا غايتان متباعدتان، فمن أراد خطاب العامة نزل إلى مستواهم، ولو خاطب به الخاصة لعابوا ذلك عليه. ولو خاطب العامة بخطاب الخاصة لم يفهموا مراده، فلا يمكن مخاطبتهما بخطاب واحد، وأما القرآن فقد جمع بينهما فإن الجملة الواحدة تلقى للأذكياء والأغبياء، والعلماء والجهلاء[2]

3/ إقناع العقل وإمتاع العاطفة.

[1] معجم علوم القرآن، مرجع سابق، ص 31

[2] محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،ط2000،2، ص142-143

في أدبياتنا الشعراء والأدباء يخاطبون الوجدان، والعلماء والحكماء يخاطبون العقل؛ فالعالم لا يخاطب العاطفة، والأديب لا يخاطب العقل؛ فالأول للإقناع، والثاني للإمتاع، ولا يمكن جمع الخطابين، بينما القرآن استطاع جمع الخطابين .

4/ البيان والإجمال، وهذه عجيبة أخرى لا نجدها عند أحد من الكتاب، فمن أراد أن يجمل عمد إلى الغموض والإبهام، ومن أراد تحديد غرضه عمد إلى البيان والإيضاح، هاتان الخاصيتان لا نجدهما إلا في القرآن، فلو قرأت قطعة منه وجدت الإحكام والدقة، وخيل إليك أنك أخطأت بمعانيها، ثم بعد قراءتها فستخرج منها معنى لم تتفطن إليه من قبل. وهكذا نجد للجملة والكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيحة.

5/ التآلف الصوتي، فأصوات القرآن كلها متآلفة، ثم إن كلمات القرآن كلها قد سجلت تناسقا بين أصواتها، والمعاني المرادة،فهو يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة، لخدمة المعنى المقصود، ومن أمثلة ذلك : الصاخة، الطامة، القارعة، وقد جاءت حروف الاستعلاء في الصاد(الصاخة) ، والطاء (الطامة)، والقاف في (القارعة)، وتلا كلا منها حرف المد (الألف) ليعطي أقصى مدى في التفخيم، وفي هذا إشارة إلى أبلغ القوة والشدة، والمفاجأة"[1]

إضافة إلى تناسق حروفه وأصواته نجده يصور لنا المشهد من خلال الأصوات المختارة لبث الرهبة، أو الطمأنينة في النفوس المخاطبة

[1] المرجع نفسه، ص 132 ومابعدها

المحاضرة الرابعة عشر:2-الإعجاز الإخباري والتشريعي

أما الإعجاز الإخباري فيشمل غيب الماضي أو الحاضر أو المستقبل [1].

أما **النوع الأول(غيب الماضي)** فقد قص علينا الكثير من قصص الأنبياء والأمم الغابرة مثل موسى، وصالح وأصحاب الكهف، وغيرهم .

النوع الثاني(الحاضر)

[1] المرجع

فقد أخبر القرآن الكريم بانتصار المسلمين في غزوة بدر رغم قلتهم، قال تعالى﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ القمر44.فقد كشف الكثير من مكائد المنافقين، مثل حادثة الإفك ، ومن يقف وراءها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ النور 11.

النوع الثالث (المستقبل)

فقد أخبر القرآن بانتصار الروم على الفرس ﴿ الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ الروم 1-3

الإعجاز التشريعي

إذا عرفنا أن القرآن معجزة بيانية، وإخبارية، فهو كذلك معجزة تشريعية، فالتشريعات القرآنية شاملة ومتعددة الجوانب فمنها ما يتعلق بجانب العبادات (الطهارة، الصلاة، والزكاة، والحج) .

ومنها ما يتعلق بالمعاملات كالبيوع، والربا ومنها ما يتعلق بالأحوال الشخصية، ومنها التشريعات المرتبطة بالجنايات. ولقد كان للقرآن السبق في تلك التشريعات، والمتأمل في أي جانب من هذه الجوانب، ويقارن بينها، وبين القوانين الوضعية سيدرك الفرق شاسعا؛ فقد راعى التشريع الإلهي مصالح الجميع، أفراد وجماعات، لا طغيان فيها للجانب المادي على الروحي، بل يجمع بنيهما، ففي التشريعات البشرية قد يطغى جانب على جانب آخر، بينما التشريع القرآني راع مصالح الجميع، وهذا ما أشار إليه القرآن: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النسا82.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1-إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية،ط4، 2004.

2-إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم ، دمشق، ط1، 2006.

3-إبراهيم فواتيح ع الرحيم لغة الخطاب القرآني،بين جمالية البيان وصرامة المنطق، رسالة دكتوراه غ م جامعة وهران، 2012-2013.

4-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، دط ، دت .

5-أحمد بن تيمية مجموع الفتاوى إعداد: محمد بن عبد الرحمان بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة،1425هـ ج18.

6-أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي،ط1999،2.

7-بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1984، مكتبة التراث، القاهرة ج1 .

8-برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الآمن والمأمون، دار المعرفة، بيروت، دط،1400هـ ج3.

9-بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1992 .

أبو بكر بن محمد فوزي البخيت، خصائص الأسلوب القرآني، منشورات جامعة الملك سعود، ط1436،1هـ.

10-تيودور نولدكه، اللغات السامية، ت رمضان عبد التواب، دار النهضة، القاهرة، دت

11-جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ت فخر الدين قباوة، دار الحديث، ط1 2004.

12-ابن الجزري، منجد المقرئين ةمرشد الطالبين، ت ناصر محمدي بن محمد جهاد، در الآفاق، القاهرة، ط1، 2010.

13-الحاج علي هوارية، أثر القرآن الكريم في الشعر العربي، شعر البحتري أنموذجا / مجلة إحالات، ع 4، ديسمبر 2010.

14-ابن حبان ، الثقات، دار الكتب العلمية، دط، دت، ج 08 .
15-الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط2، 2009.
16-ذياب بن مدحل، الفرق بين النبي والرسول ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، دت.
18-الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن مكتبة نزار مصطفى الباز، دط، دت، ج1.
19-الرافعي ، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2000، ج2.
20-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004.
21- سيد قطب،مشاهد القيامة في القرآن،دار الشروق،القاهرة،دت.
22-صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن،دار العلم للملايين ، بيروت، ط1977،10.
23-عائشة عبد الرحمان التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط7، دت .
24-عبد الحليم قابة ، القراءت القرآنية ، تاريخها ، ثوبتها، حجيتها، وأحكامها ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1999.
25-عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980.
26-عبد الرزاق حسن أحمد ، المكي والمدني في القرآن الكريم، دار ابن عفان، القاهرة ط1، 1999، مج1.
27-عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ت فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، دط ، دت .
28- عبد الكريم بوغزالة مجلة المنهل، مخبر إسهامات علماء إثراء ع الإسلامية، جامعة الوادي ، مج 4 ع 2، ديسمبر 2018،.
29-عودة سويلم الشمري،أثر القرآن في شعر صدر الإسلام، جريدة الوطن،2016/1/14 https://www.alwatan.com.sa/article/286961
30-غانم قدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن دار عمار، عمان ، ط1، 2003.
31-فضل حسن عباس، محاضرات في علوم القرآن ، دار النفائس للنشر والتوزيع.
32-فضل عباس، محاضرات في علوم القرآن،دار النفائس ، الأردن، ط1، 2007.

33-فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن ، مكتبة الملك فهد ط14، 2005، الرياض.
34-الفيروزبادي القاموس المحيط، ت أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة،دط، 2008.
35- ابن قتيبة ،الشعر والشعراء،ت أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرةج1،
36-ابن القيم كتاب الفوائد،ت عصام الدين الصابطي، دار الحديث، القاهرة،ط2، 1994.
37-ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم،بيروت، ط1، 2000.
34-محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير ، دمشق، ط1، 2002.
38-محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون مكتبة وهبة، القاهرة، دط دت.
39-محمد سالم محسن، تاريخ القرآن ، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية، 1406هـ ، ع 15.
40 محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،ط2000،2. 41-
محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، دط ، 2003.
42-مريم ع القادر السباعي رسالة دكتوراه غ م جامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة. 1404هـ . السياق القرآني وأثره في المدرسة العقلية الحديثة ، دكتوراه غ م جامعة أم القرى 2006.
43-مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، دط ، دت.
44-مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 2013.
45-ابن منظور، لسان العرب،ت ع الله علي كبير وآخرين دار المعارف، القاهرة.
46-ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت، دت ج5.
47-نعيم عموري وآخرون، التناص الديني في رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ،مجلة الدراسات اللغوية والأدبية الجامعة الإسلامية بماليزيا، ع 1 جوان 2011 .

48- يوسف الشريجي أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، والتحديات المعاصرة، مجلة التراث العربي، ع 90، أفريل 2003.
49-يوسف ولد النبية، ملامح تجديد البلاغة في مدرسة التفسير البياني، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة جامعة الأغواط ، مج4، ع1، 2019.
50- Aljazeera.net news/culturend art 01/ 07/2020.

فهرس المحاضرات

عنوان المحاضرة	الصفحة
مقدمة	03
تعريفات : أهمية القرآن وعلومه في الدراسات الأدبية: تعريف القرآن، الكتاب، الوحي، المعجزة ، النبي، الوحي	22-05
تاريخ القرآن : 1 نزول القرآن ، بدايات الوحي، التنجيم ..	26-23
2- مراحل جمع القرآن ، معايير ترتيب سور وآيات القرآن (وقفية أم اجتهادية.	35-27
مكونات النص القرآني: 1 اللفظة، العبارة ، الآية ، السورة.	41-36
2-القصة القرآنية : خصائصها ، أهدافها.	44-42
سياقات النص القرآني: 1- السياق السببي: أسباب النزول 2- السياق المكاني: المكي والمدني.	50-45
3- السياق التراتبي: أول وآخر مانزل، الناسخ والمنسوخ.	56-51
4- السياق التداولي: (القراءات القرآنية ، مفهومها ، أنواعها ، الحكمة منها)	61-57
مناهج التفسير ونقدها: 1- معنى التفسير والتأويل والشرح، شروط المفسر (العلمية والذاتية) ، تاريخ التفسير(في عهد الصحابة والتابعين وعصر التدوين)	66-62
2- التفسير بالمأثور : خصائصه، أعلامه، نقده. التفسير بالرأي: أعلامه، نقده.	70-67
التفسير اللغوي: خصائصه، أعلامه ، نقده.	73-71
التفسير البياني والأدبي: خصائصه ، أعلامه ، نقده.	76-74
الإعجاز القرآني: 1- الإعجاز اللغوي والبياني.	80-77
الإعجاز الإخباري والتشريعي.	82-81